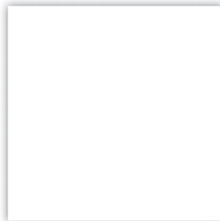
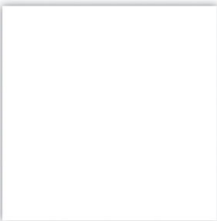
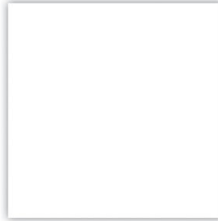


الحجرات

حصن الإستقلال



سَمَاحَةُ الْمَرْجِعِ الدِّينِيِّ آيَةُ اللَّهِ الْعُظْمَى الْمَاجِدِ
السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ تَقِيٍّ الْمَدْرَسِيِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الكتاب: الجهاد حصن الإستقلال.

بقلم: سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي (دام ظله).

الطبعة: الثانية ١٤٤٠هـ / ٢٠١٩م. (٢٠٧ صفحة). منقّحة.

تحقيق ونشر: مركز العصر للثقافة والنشر.

الحمد لله حصن الإستقلال

سَمَاحَةُ الْمَرْجِعِ الدِّينِيِّ آيَةُ اللَّهِ الْعُظْمَى الْحَاجِّ
السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ تَقِيٍّ الْمَدْرَسِيِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ①
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ②
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ③
مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ④
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ⑤
اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ⑥
صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ
غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ⑦



العناوين الرئيسية

- كلمة الناشر ١١
- مقدمة الطبعة الأولى ١٥
- الفصل الأول: أهداف الجهاد ١٧**
- ١ - الجهاد قضية المسلم الاولى ١٩
- ٢ - الجهاد يتحدى فساد الطغاة ٢٣
- ٣ - الجهاد ارفع ابواب الجنة ٣٧
- ٤ - الجهاد رحمة للمؤمنين ٤٥
- ٥ - الجهاد حصن الاستقلال ٥٩
- الفصل الثاني: استراتيجية الجهاد ٨١**
- ١ - الهجرة الى الوطن عبر جسر الجهاد ٨٣
- ٢ - كيف نسير على درب الشهداء ٨٩
- ٣ - كيف نتكامل في رحلة الجهاد ٩٩
- ٤ - كيف نجعل من ساحة الجهاد محراباً للعبادة؟ ١١١
- ٥ - اهداف القتال في سبيل الله ١٢٧

الفصل الثالث: ماذا بعد الشهادة؟	١٣٧
١- الجهاد الاكبر	١٣٩
٢- متى يموت الشهيد	١٤٩
٣- الشهادة حياة خالدة	١٦١
٤- كيف تنشأ الديكتاتوريات؟	١٦٩
٥- ركائز الانظمة الطاغوتية	١٧٧
٦- نحو شاطئ الأمان	١٨٩
الفهرس التفصيلي	٢٠١

كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

قد يتبادر الى الأذهان أنَّ (الجهاد) فريضة محدودة زماناً ومكاناً، إذ أنَّ الحرب والقتال، مهما كان كثيراً ومكرراً، فإنه لا يغطي إلا جزءاً يسيراً من عمر الأمم ومن مساحات الجغرافيا. فالجهاد - بناءً على هذا التصور - أمر استثنائي، وقد لا يراه جيل كامل، أو لا يقع في قرنٍ من الزمان.

ولكن حقيقة الأمر ليست كذلك، إذ الجهاد واجب يومي من واجبات المسلم، وهي مادة الإمتحان الأساسية لكي يثبت المسلم من خلالها صدق إيمانه، وخلوص نواياه، وسلامة أهدافه. الجهاد ليس القتال والمواجهة العسكرية فقط، هذا النموذج من الجهاد ما هو إلا مورد واحد من موارد الجهاد ذي الأبعاد الواسعة.

فبالإضافة الى جهاد القتال، هناك جهاد النفس وهو (الجهاد

الأكبر) وهو جهاد يومي لا يخلو منه الإنسان ما دام له شيطان يغويه ونفسٌ بالسوء أمارة، ثم جهاد الكلمة، وجهاد الإصلاح، وجهاد التغيير الى الأفضل، وجهاد بناء الحياة الطيبة، وجهاد الأخلاق الفاضلة، وجهاد السياسة والاقتصاد والاجتماع، وجهاد العلم والتقدم، وجهاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجهاد التعاون والتكاتف، و...و...

وبكلمة: الجهاد هو بذل أقصى الجهد من أجل الإصلاح.. الإصلاح بمعناه الشامل لكل أبعاد الإنسان ومرافق الحياة.

إذن، فليس (الجهاد) حالة استثنائية ونادرة، بل هو ممارسة يومية وفي كل جوانب حياة الإنسان، هو واجب مستمر ما دامت الحياة في هذه الدنيا مستمرة.

وكل طفرة في الحياة، وكل تقدم وتغيير، وكل إصلاح وبناء، وكل صناعة وانتاج، وكل شيء ايجابيٍّ وبنّاء في الحياة إنما يتحقق بالجهاد، وإذا توقف الجهاد في أمةٍ ما فإن مسيرة القهقري تبدأ لكي تعود بها الى الوراء.

الجهاد ضمان العزة والكرامة في الحياة، وهو ممارسة يومية ولكل إنسان مسلم، فعلينا - إذن - أن ندرس كل أبعاد هذه الفريضة، لكي يكتشف كل واحد منا موقعه منها، ومدى تفاعله معها.

في الكتاب الذي بين يديك - أيها القارئ الكريم - نتلمذ على مدرسة فقيه مجاهد قضى سنواتٍ طويلاً من حياته المباركة في الجهاد بمعناه الشامل، وهو إذ يتحدث عن هذه الفريضة الهامة إنما ينطلق من قاعدة التدبر في آيات الذكر الحكيم، والإستلهام من كلمات وسيرة رسول الله وأهل بيته عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام، ودراسة الواقع ومتطلباته وهذا هو المنهج الذي نلمسه بوضوح في كل كتابات ومحاضرات سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي حفظه الله.

(الجهاد حصن الإستقلال) نعيد طباعته بعد المراجعة والتنقيح وتوثيق النصوص، سائلين المولى العلي القدير أن يوفقنا جميعاً لما فيه صلاح الدنيا وخير الآخرة، والله المستعان.

مركز العصر للثقافة والنشر - بيروت

١٨ / جمادى الثانية / ١٤٤٠ هـ



مقدمة الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

حين يفقد البيت سوره، وحين تنهار عن الجسم حصانته، وحين يفقد الانسان كرامته، فإنَّ أغلى ما فيه يُمسي تافهاً.

لأنَّ أثاث البيت الذي يتعرض للسرقة في آية لحظة، أو الجسم الذي يغزوه المرض في آية ساعة، أو الانسان الذي يستعبده الجبار متى ما شاء لا يسوى جناح بعوضة.

هكذا الأمة التي تفقد حصن الجهاد، فإنَّ كل ما فيها يصبح تافهاً، إنها لا تتقدم لأنَّ شرط التقدم الأمن، ولا أمن إلا بالجهاد، وهي لا تعيش بكرامة، وهل هناك كرامة من دون الجهاد الذي يحفظها؟ ولا تعرف الهناء لأن خيراتنا نهب الطامعين.

حول هذه الحقيقة جاءت أحاديث امتدت على شريط من

الزمن طال عدة سنوات، والآن أعيدت صياغتها وهُيئت للطبع،
واليوم حين تزحف نحو المطبعة لا يسعنا إلا الشكر لمن هَيَّأها،
وأن نسأل الله العلي القدير بالتوفيق لنا وللقارئ للجهاد في سبيله،
إنه ولي التوفيق.

محمد تقي المدرسي

١٤٠٧/١/١ هـ

أهداف الجهاد

- ١- الجهاد قضية المسلم الاولى
- ٢- الجهاد يتحدّى فساد الطغاة
- ٣- الجهاد أرفع أبواب الجنة
- ٤- الجهاد رحمة للمؤمنين
- ٥- الجهاد حصن الإستقلال



١ - الجهاد قضية المسلم الاولى

لقد أنفق البريطانيون ملايين الجنيهات في الهند ليحذفوا بنداً أساسياً من بنود الاسلام وهو التحريض على الجهاد، ونجحوا في حذفه من قائمة الأولويات الهامة عند المسلمين - حسب اعتراف المستعمرين انفسهم - ولكنهم فشلوا في حذفه كفرع من الفروع الاساسية في الاسلام، حيث تمكن العملاء المأجورون من علماء السوء ومثقفي البلاط ووعاظ السلاطين والمتخلفين من حذفه كوجود خارجي وجعله فريضة تاريخية لا غير.

لقد نوّه الاستعمار لنا عبر إعلامه المضلل - بصورة مباشرة أو غير مباشرة - وأوحى لنا بأنّ الجهاد وُجد لعصر قد مضى، واليوم إنما هو أمرٌ قد أكَلَ عليه الدهر وشرب، حتى ولو كان اصلاً من اصول الدين أو فرعاً من فروعه.

فالمستعمرون يزعمون أنّ للجهاد شروطاً يلزم توفرها فيه ولكنها اليوم معدومة، وحتى لو توفرت فان هناك اموراً أولى من

الجهاد ينبغي القيام بها، كبناء المساجد، واشباع المكتبات بالكتب، وطبع المزيد من النسخ الانيقة المنقحة والمزخرفة من القرآن، وما أشبه.

كل ذلك أدّى إلى إبتعاد المسلمين كل البعد عن الجهاد في سبيل الله، فنسوا بأنّ عليهم إقتناء الأسلحة المتطورة، والتزوّد بأحدث الوسائل العسكرية، ورفع مستوى الإعداد العسكري، للدفاع عن الدين والحفاظ على كيان الأمة في مواجهة الأعداء.

الاسلام دين العدالة

إنّ الاسلام دين الرحمة، ولكن ليس بمعنى الخضوع للمجرمين والارهابيين، بل انه يقابل هؤلاء وأعوانهم بالدفاع المشروع.

وهنا ننصح مَنْ غرّته أبواق الإستعمار وظنّ بأنّ الإسلام يعني مجرد كلمات ونصائح وتوجيهات ووصايا، وأنه لا يشمل على تأسيس وتكوين نظام سياسي عادل في برنامجه، ننصح هؤلاء بالرجوع إلى القرآن وإحصاء آيات الإنذار فيه، وكيف أنّ الله أنزل العذاب على الأقوام التي عصت أوامر الرسالات السماوية، بل إنّ معظم القصص المذكورة في القرآن إنما هي حول العذاب الذي حلّ

بالاقوام السابقة وكيفية إبادتهم لسوء أفعالهم سوى بني إسرائيل وقوم يونس، وهي إن دلت على شيء فإنما تدل على أن الأقسام الذين عصوا أوامر السماء قد عذبوا من قبل الله عز وجل عذاباً شديداً أهلكهم، ولأن الناس لا تكفيهم النصيحة والوعظ بات ضرورياً اقتران ذلك بالإنذار والوعيد، وبالتالي العذاب الشديد.

وأما في قصة بني إسرائيل، فإننا نجد فيها أن فرعون وأتباعه يغرقون بينما ينجو من الغرق أتباع موسى، وفي قصة يونس نرى أن قومه آمنوا قبل فوات الأوان فمتعهم الله حتى حين.

وهناك فئة من الشباب ظنوا أن الطريق إلى إعلاء كلمة الله معبد وخالٍ من الأشواك، وأنه من الممكن وبسهولة أن يصل الإنسان إلى مصاف أصحاب النبي ﷺ وأصحاب الامام علي عليه السلام وأصحاب الحسين عليه السلام وركبه الشهداء.

إن مجرد التمني والرغبة عند هذه الفئة لا يجدي نفعاً. هذا أمر، والأمر الآخر فإن الشهادة لا تعني بالضرورة أن يُقتل المرء في سبيل الله، إنما الشهادة هي أن تُحارب أعداء الله وعندها قد تُقتل في سبيل الله أيضاً.

فإننا نلاحظ في آيات القرآن الكريم بأن القتل بصيغة الفاعل يتقدم على القتل بصيغة المفعول، ففي الآية:

﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾^(١).

حيث يَقْتُلُ المجاهد العدوَّ في البداية ومن ثم يستعدُّ لأن يُقْتَلَ في سبيل الله إن لم يُكتب له النصر.

إنَّ الإمام علياً عليه السلام اشترك في معارك عديدة كان يستهدف في كلِّ منها أن يُقْتَلَ أعداء الله والإنسانية دون أن يسعى لأن يُقْتَلَ، ولكنه لم يُخَشَّ الإستشهاد، ولذا نجده إستشهد في محراب العبادة وليس في ساحة القتال!

كذلك فإنَّ كثيراً من الأبطال المسلمين كانوا قد اشتركوا في عشرات المعارك دفاعاً عن الإسلام ولكنَّهم إستشهدوا في معركة بسيطة، أو ماتوا على فراشهم وهم شهداء، حيث إنَّ الذي يشترك في عشرات المعارك ليستشهد في سبيل الله ثم يموت في فراشه فانه يُحَسَّب عند الله شهيداً.

١ - سورة التوبة، الآية ١١١.

٢- الجهاد يتحدى فساد الطغاة

﴿وإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ * وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَن آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرْتُكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ * وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ * قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُولُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾^(١).

الإصلاح شعار المرسلين

حملت رسالات السماء على مدى العصور عنواناً واحداً

١- سورة الأعراف، الآيات ٨٥-٨٨.

وشعاراً موحداً، كان هذا الشعار هو الإصلاح.

والإصلاح على نقيض الفساد والإفساد. والآيات التي تلونها خُصصت لتبيان طبيعة الانسان الفرد والانسان المجتمع، ويؤكد فيها السياق القرآني العام على أهمية شعار الإصلاح الذي حمّله الأنبياء والمصلحون وخطورته، ذلك الشعار الذي كانت وراءه جميع الرسائل السماوية وبنودها.

دعوة شعيب إلى الإصلاح

هذه الآيات تسرد لنا قصة النبي شعيب عليه السلام والذي بعثه الله إلى مَدْيَن - وكان من أهلها - فدعا قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له.

ومفهوم العبادة الذي طرحه شعيب عليه السلام، والذي ذكره القرآن في آيات محكمات، لم يقتصر على معنى العبادة الضيق (بمعنى الركوع والسجود فقط)، وإنما طرح العبادة كإطارٍ يتضمّن مجموعة مفاهيم منها عدم الفساد في الارض:

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾^(١).

١ - سورة الأعراف، الآية ٨٥.

الإنشقاق العقيدي والسلوكي في المجتمع

وبالرغم من دعوة شعيب الإصلاحية الخالصة لقومه لم يتبعه جميعهم بل اختلفوا فيما بينهم وانقسموا على انفسهم ثلاث فرق:

١ - الفئة الغنية المترفة وصاحبة النفوذ، وكان هؤلاء يشكلون الملاء من قوم شعيب والشريحة المفسدة في مجتمعه.

٢ - الفئة المؤمنة والتي تحدت وواجهت الفئة المستكبرية الأولى، وذلك بعد أن آمنت بالله ورسوله ﷺ.

٣ - الفئة المحايدة، وهم يمثلون عامة الشعب، الذين سكتوا عن جرائم المستكبرين ولم يدافعوا عن المؤمنين ضد المستكبرين.

وهؤلاء أصبحوا بالتالي - وبفضل ما جنت أيديهم - ضحية الموقف. فكان للمستكبرين في الدنيا الغنم ولهم الغرم، ففي الدنيا أصابهم عذابٌ من رجزٍ أليم وفي الآخرة لهم عذابٌ مقيم.

فهذه الفئة لم يجبرها طغاة قومها على اتخاذ موقفٍ كهذا عنوةً، بل هي التي اختارت السكوت ومن ثم انسأقت شيئاً فشيئاً خلف خطي المستكبرين وفعالهم، فاستحققت بذلك العذاب والدمار معهم.

وتأتي آيات القرآن الكريم لتفسّر لنا بوضوح هذه الفكرة الأخيرة، وتبين لنا دور المستكبرين في تحقيق الفساد في الأرض وتأثيرهم على أفراد المجتمع وكيفية انسياق هؤلاء إليهم.

حقيقة نوايا الطغاة

كان هدف الطغاة منذ الازل هو إشاعة الفساد على وجه البسيطة وتغيير مسار الحياة البشرية السليم الى مسارٍ منحرف، ومسح الشخصية الإنسانية القويمة المصلحة إلى ضالة ومضلة. فهم يهدفون إلى سلب المقدرة الفكرية لدى الإنسان وتحويله إلى مخلوقٍ مجردٍ من كلّ مقومات الإنسانية العاقلة، فيُمسي أداةً طيّعةً في متناول أيديهم ومصالحهم.

وهذه الأمور كلها تبلور لنا حقيقة واحدة، وهي حب الإستغلال الذي يظهر بشكلٍ بشع في الطبقات المترفة المنعمة، والتي - بحكم ما تحياه من حياة الدعة والخمول - تحاول أن تستغل كل شيء، فتستغل من حولها من البسطاء والسذج أعظم الإستغلال.

فالحاكمون المترفون والقابضون على أزمنة الامور تعسفاً في أيّ بلد، هم اكبر خلية للافساد فيه كما يؤكد ذلك القرآن الكريم:

﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾^(١).

وكما يؤكد في مواضع أخرى أَنَّ الجنة ورضوان الله لا ينالهما من يفسد ويعلو ويستكبر:

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٢).

فالذي يبغى العلوّ في الأرض سيُفسد فيها ما شاء حتى يصل إلى ما يهدف إليه من سيطرة واستكبار، وهو بالتالي - عندما يصل إلى الحكم - لن يحكم بما أمر الله عزّ وجل ولا بما أنزل، بل سيحكم بخلاف ذلك:

﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٣).

استراتيجية المستكبرين في استغلال الناس

كيف يتم للمستكبرين الإفساد في الأرض؟ وما هو دور الناس في هذا المجال؟

١ - سورة النمل، الآية ٣٤.

٢ - سورة القصص، الآية ٨٣.

٣ - سورة المائدة، الآية ٤٧.

إنَّ الطغاة لا يمكنهم وبأية حال أن يمارسوا أغراضهم الشريرة المفسدة ما دام هنالك إنسان يستشعر إنسانيته، ولذلك فهم - كي يفسدوا - يحاولون أن يسلبوا الانسان شعوره ذاك، ويمسخوا شخصيته تدريجياً وعبر مراحل، حتى يأتوا عليه كله فيحولوه إلى أداة رخيصة، فيسهل إستغلاله.

ولا يتم ذلك لهم إلا باتباعهم لأساليب وطرق ملتوية للوصول الى أهدافهم الدنيئة.

فبدؤوا من فطرة الانسان، تلك الفطرة التي يظل يحملها طيلة عُمره، وبالذات من كونه مفطوراً على حب الحرية والاستقلال وعدم الخضوع. فحب الانسان للحرية والاستقلال كان المحرك الأساسي الذي حرك التاريخ وغير مساراته لمرات عديدة، فدمرت حضارات وشيّدت حضارات أخرى على انقاض الاولى.

كل ذلك حدث لوجود نازع الاستقلال عند الفرد وحبه العميق للحصول على الحرية، مما أدّى به في أغلب الاحايين لمواجهة الطغاة والمستكبرين.

ولقد تم للمستكبرين ما أرادوه من استغلال للبشرية كافّة وذلك على مراحل وبعد اعتمادهم على نازع الحرية والإستقلال عند الفرد.

المرحلة الاولى: الإباحية والتبعية كبديل

فلقد وجهوا الإنسان توجيهاً منحرفاً نحو الإستقلال المزيّف، الإستقلال عن كافة القيم والمبادئ النبيلة، وعن كل ما هو في نفعه من الدين والخُلُق، باعتبار أنّ كلّ ذلك بالٍ وقديم وتافه وبعيد عن روح التحضر ومسيرة العلم!

وبذلك دفعوه نحو المعنى الخاطيء والعقيم للاستقلال والحرية، جعلوه يؤمن بان الحرية تتمثل في لعب القمار، ومعاقرة الخمر، ومعاشرة النساء، وممارسة كل ما هو شاذ وغير مقبول اخلاقياً، دون وازعٍ أو رادع.

وهذا ما نجده واضحاً في الدول الغربية والشرقية بلا فرق، حيث قدّموا الشعوبهم الاباحية اللامحدودة بديلاً عن الحرية.

وهذا ما نراه أيضاً في أغلب الدول العربية والاسلامية التابعة، فهم يبيحون عرض الأفلام الخليعة، وإحداث النوادي والملاهي المنحلة، ولكنهم لا يسمحون لأحد بالاعتراض على ذلك كله، بل وقد سلبوا من الشعوب حرية إبداء الرأي حتى في أصغر الأمور. فلا إعتراض على الفساد الشائع، ولا إعتراض على السجون الممتلئة بخيرة الشباب المؤمن، فهم يريدون أن يُقبروا جميع التساؤلات المشروعة في صدور الناس، ويريدون للشعب

أن يرى كل هذا نوعاً من الإستقلال.

إنهم يدعون إلى الحرية التي يقدمونها بقلب الإباحية، ويدعون إلى الإستقلال الذي يحرفونه إلى التبعية، وهذه هي الخطوة الاولى.

المرحلة الثانية: زرع الفساد

ويتم ذلك بما يقوم به الطغاة من صدٍ عن سبيل الله. فهم يصدون الفرد عن قراءة الثقافة التي يشاء، ويمنعونه من إقامة المؤسسات الخيرية والاجتماعية والتنظيمية، ويكبلون نشاط المصلحين في المجتمع، فيطاردونهم وينكلون بهم. والمجتمع الذي لا توجد به مؤسسات خيرية أو اجتماعية أو تنظيمية أو مصلحون، ينشأ ابنائوه على الفساد والانحلال، والباعث الرئيسي على هذه النشأة هم هؤلاء الحكام الطغاة الذين ينهاهم الله، فيقول عز وجل:

﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(١).

إنهم يمنعون البرامج المفيدة من دينية وإجتماعية وتربوية أن

١ - سورة الأعراف، الآية ٨٦.

تؤثر في الناس، ويحاصرون المعاهد العلمية المستقلة، ويفسدون الجامعات، ويضطهدون المؤمنين والعلماء، ويطاردون اللجان الخيرية التي تهدف مساعدة المحرومين والمستضعفين، وفي بعض البلاد يقتلون ويشردون حتى لا يبقى عندئذ سوى قطع من الناس يسهل اقتيادهم واستغلالهم.

المطلوب موقف بحجم المؤامرة

إننا نقف اليوم أمام خيارين حيال مؤامرة المستكبرين هذه: الأول: أن نستجيب للوضع، فنأخذ أقصى ما نستطيع من لذائذ الدنيا، ونستمتع بهذه اللحظات التي نحياها، ونحرص عليها أشد الحرص، متذرعين بأنَّ السُّلطة لا تسمح لنا بتربية أنفسنا عبر الوسائل المشروعة، وأنَّها لن تجيز لنا إختيار النظام الذي نرتأيه.

وهذا الموقف سيؤدي بنا إلى الضياع، فلا نذهب إلى المساجد أو مراكز التنمية المعنوية والأخلاقية، ولا نقرأ الكتب التربوية والدينية، لأنَّ كل ذلك مهاجم في وسائل الاعلام المختلفة، فنرتاد بدلاً عن ذلك دور السينما والنوادي الفاسدة، والمراكز الضالة، ونقتل وقتنا بالتطلع الى برامج التلفزيون الخليعة والرخيصة.

وإننا إذ نمارس هذه الأعمال، والتي توافق هوىً في نفوسنا، فإننا نحاول تبريرها بشتى الطرق والوسائل، كأن النظام الحاكم لا يفسح لنا المجال بممارسة الحرية الحقيقية، الأمر الذي سيجعلنا ننحرف مع التيار الذي يسحبنا بقوة نحو الهلاك المحتم، والذي يكرّس فينا روح الفساد والإفساد ليس إلّا.

الثاني: سلوك طريق التحدي، وأول خطوة ينبغي أن نخطوها على هذا الطريق هو زرع الثقة بالنفس. فعندما يفكر الانسان بأن الله خلقه وأوكل إليه خلافة الأرض وعمارتها بالخير والعدل، وبعث اليه الرسل، وأنزل لأجله الكتب السماوية ليهتدي بها ويسترشد بنورها، وليجعله فيما بعد ذلك من أهل جنّته ورضوانه. عندما يكون كذلك يستعيد الإنسان إرادته ويتمسك بإنسانيّته التي يريد الطغاة سلبها منه، ليحوّلوه إلى بهيمةٍ سائمةٍ همها بطنها.

والفرد المؤمن حينما يجتاز هذه الخطوة، سيفهم أنّه لن تنفعه المتعة الزائلة، ولن تغنيه الأموال الطائلة التي يحاول المفسدون إغراءه بها، وسيفهم بأنّه لا ينبغي له أن يكون - وبأي شكلٍ من الاشكال - محوراً في التهم.

عليه أن يعي أنّهم إنّما يريدون شراء إنسانيّته وكرامته بهذه

الأموال، واستعباده وتجريده عن جميع المعاني السامية لبيع جنّته
بثمنٍ بخسٍ بعد أن يتجرد عن إنسانيّته وفطرته.

الهجرة تطهير من رواسب الطغاة

وكذلك المهاجرون والمهجّرون في سبيل الله عليهم أن
يتخلّصوا وبأي ثمن من رواسب العهد الطاغوتي التي تلاحقهم،
وعليهم أن يستعيدوا الشعور بانسانيتهم والتّمتّع بها.

عليهم ألاّ يكرّروا فعلة بني إسرائيل الذين منّ الله عليهم
فأنجاهم من آل فرعون، ولكنّهم عندما وجدوا قومًا عاكفين على
الاصنام سألوا نبيّهم أن يصنع لهم إلهًا كهؤلاء المشركين، وذلك
بعد أن بيّن لهم الحق!

وهذا الموقف يجسّد لنا النفسيّة الإنهزاميّة المنحطة التي كان
يحملها هؤلاء القوم.

على المهاجرين أن يستعيدوا ذواتهم بإعادة الثّقة إليها، وهذا
هو محور الإصلاح في الأمم، وهذه الثّقة بدورها لن تعود إلّا بعد
التوكل على الله:

﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ

يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١﴾.

فاذا ما استعادوا الثقة وتعالوا على رواسب الطغيان والفساد التي سببها الطغاة، فانهم سيسيرون على خطى الصلاح، وإلاَّ يفعلوا فان سُنَّةَ الله تنتظرهم كما انتظرت الذين خلوا من قبلهم وحاقت بهم، وهي سُنَّةٌ عادلةٌ وإن كانت قاسية ماحقة، وهي لا تبدل قط:

﴿وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٢).

إعتبار ثم استجابة

إن مسيرة شعيب التي قطعها مع قومه والتي يقصها القرآن تنتهي نهاية مأساوية:

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ * الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَعْنُوا فِيهَا الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ * فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ (٣).

١ - سورة الأعراف، الآية ٨٧.

٢ - سورة الأعراف، الآية ٨٦.

٣ - سورة الأعراف، الآيات ٩١ - ٩٣.

وهكذا حدث لعاد وثمرود وأصحاب الأيكة، وكل من استجاب لتيار السلطة الفاسدة ونوازع الهوى.

فهؤلاء الأقوام وغيرهم عاشوا حياةً مترفة وكانوا أشداء أقوياء، ولكن الله أخذهم بألوان العذاب وانتقم منهم، فانتهت حياتهم بتلك النهايات المؤسفة كالطوفان أو الصيحة أو الرجفة أو غير ذلك.

وهذه هي خاتمة كل أمة منكيرة جاحدة لفضل الله وأنعمه، وكل أمة عاثت الفساد في الأرض.

والدليل على ذلك هو تلك الحضارات التي انطمست وفُتيت وظهرت أخرى مكانها وهكذا:

﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾^(١).

فإن لم تستجب الشعوب المسلمة قاطبة اليوم لنداء الحق والإسلام، فإنها ستنتهي نهاية لا تُحسد عليها.

وواجب المصلحين هنا الثبات والرسوخ على الإيمان، والإستمرار في إصلاح وتربية الأجيال القادمة، التي عليها أن تستقيم لله وتقاوم فساد الطغاة.

١ - سورة آل عمران، الآية ١٤٠.

وعلينا أن نتذكر ونكرر الدعاء الذي يقول:

«اللَّهُمَّ إِنَّا نَرْغَبُ إِلَيْكَ فِي دَوْلَةٍ كَرِيمَةٍ، تُعِزُّ بِهَا الْإِسْلَامَ
وَأَهْلَهُ، وَتُذِلُّ بِهَا النِّفَاقَ وَأَهْلَهُ، وَتَجْعَلُنَا فِيهَا مِنَ الدُّعَاةِ إِلَى
طَاعَتِكَ، وَالْقَادَةِ إِلَى سَبِيلِكَ، وَتَرْزُقُنَا بِهَا كَرَامَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»^(١).

هذه هي التطلعات السامية التي يرمي الرساليون
والمجاهدون في سبيل الله الى تحقيقها في انفسهم عبر العمل
التغييري الرسالي.

فإذا جاهدنا في سبيل الله وسلكنا جادة الإصلاح فإننا
سنضمن لانفسنا العلاج الناجع، وسنقطع السبيل عمن يريد
إفسادنا وسلب إنسانيتنا. ولن يكون ذلك إِلَّا بالسَّعي الحثيث
والمجاهدة والعمل الدائب:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ
الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢).

١ - فقرات من دعاء الإفتتاح.

٢ - سورة العنكبوت، الآية ٦٩.

٣- الجهاد ارفع ابواب الجنة

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ * يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾^(١).

قد يكون الجهاد في سبيل الله هوايةً للانسان، فبعض الناس يولدون رافضين للأوضاع القائمة، تمتلكهم حالة نفسية معينة تدعوهم إلى الرفض، والتمرد، والثورة باستمرار.

إنَّ مثل هذا الجهاد والعمل لا يُجدي نفعاً، ولا يعود على صاحبه بالأجر والثواب، لأنه غير نابع من التقوى والله تعالى يقول:

﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾^(٢).

وقد يكون الجهاد منبعثاً عن حالة إيمانية مصدرها التقوى،

١- سورة التوبة، الآيتان ٢٠-٢١.

٢- سورة المائدة، الآية ٢٧.

وعن يقين بوعد الله .

فاذا كان الجهاد كذلك فإنه يكون أسمى من كل الأعمال

الصالحة:

«فَوْقَ كُلِّ بَرٍّ بَرٌّ حَتَّى يُقْتَلَ الرَّجُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِذَا قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَيْسَ فَوْقَهُ بَرٌّ»^(١).

أفضل الجهاد أن تكون في قمة المعاناة

إنَّ استجابة الإنسان المؤمن لله، والإمتثال لأوامره ونواهيه، هو بحد ذاته عمل عظيم يحقق للفرد أفضل الثواب، ويرفعه أسمى الدرجات والمنازل.

فالذي يصل رحمه له أجره العظيم، والذي يصلي لربه إنطلاقاً مما يحمله من روح الإيثار، فإن له ثوابه أيضاً، والذي يتضاعف عندما يؤدي هذه الصلاة في ظروف صعبة حرجية.

أما الشهادة فهي أصعب أنواع الجهاد، لأنَّ فيها مخاطرة بالنفس التي هي أحب شيء إلى الإنسان. ويتضاعف ويتزايد الثواب كلما ازدادت خطورة العمل المؤدى في سبيل الله.

١- الخصال، ج ١، ص ٩، ح ٣١.

يقول الإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله ﷺ:

«مَا كَانَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَنْ يَظَلَّ جَائِعاً خَائِفاً فِي اللَّهِ»^(١).

فالرسول الكريم وبالرغم من عظمته وعصمته كان يخاف ربه ويخشاه، بل كان يجب أن يكون خائفاً خاشعاً دوماً.

الفرق بين الخوف من الله والخوف في الله

هنالك فرق شاسع بين الخوف من الله والخوف في سبيله. فالؤمن يترجم خوفه من ربه بالتعبد والبكاء وبشتى أساليب القربى الى الله طيلة حياته. أما الخائف في سبيل الله، فانه عندما يؤدي عملاً ما فإنَّ خوفه يبلغ القمة في كل لحظة، لأنه يتوقع الموت فيها والحرمان من نعمة العمل لله. والخائف في سبيل الله اعظم أجراً، لأنه لن يعود بالنفع إلى نفسه وحسب، وإنما هو سينفع مَنْ حوله من المؤمنين وسيخدم رسالته التي يطويها بين دفتي صدره بعمله التضحيوي ذاك.

إنَّ قضاء الانسان ليله خائفاً في سبيل عمل يقدمه لله خيرٌ له من الدنيا وما فيها.

١- الكافي، ج ٨، ص ١٢٩، ح ٩٩.

هنالك الكثيرون - في وقتنا هذا وتحت ظل الأنظمة الديكتاتورية - يختفون في البيوت والحقول والجبال، ويبيتون ليلهم خائفين وجلين. فان كان عملهم هذا خالصاً لله، فان ليلهم هذه هي من افضل ليالي حياتهم، اذ كلما ازداد الخطر كلما تعاظم الثواب.

فالمجاهدون الذين يفرون بدينهم متوجهين صوب الادغال والاحراش والصحاري القفار - خوفاً من سطوة الطغاة الظالمين - هؤلاء يبقى جهادهم محفوراً في الازهان شاخاً عظيماً وتاريخياً.

الجهاد مشقة

إنَّ الجهاد بطبيعته عمل صعب، ولذا سُمي بالجهاد الذي يعني بذل كل ما في وسع الانسان من الجهد.

وكلما كان الجهد المبذول أكثر وأشق، كلما ازداد الأجر أضعافاً مضاعفة، لذا نجد الامام الصادق عليه السلام يقول واصفاً عمار بن ياسر رضي الله عنه:

«مَا خَيْرٌ عَمَّا بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَشَدَّهُمَا عَلَى بَدَنِهِ»^(١).

١ - بحار الأنوار، ج ٣١، ص ٢٠٣.

إنَّ انطلاق الانسان وتحركه في سبيل الله هو الجهاد الذي يصفه الامام علي عليه السلام باب من ابواب الجنة حيث يقول فيه:

«إِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَتَحَهُ اللَّهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ»^(١).

فأولياء الله هم الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون وهم قمة البشرية، بل وعناصر محدودة ومجموعة قليلة خاصة في الكون، وهم كما يقول الامام الصادق عليه السلام:

«أَعَزُّ مِنَ الْكِبْرِيتِ الْأَحْمَرِ»^(٢).

لقد فتح الله لهؤلاء الثلاثة القليلة باباً من الجنة أسماه (باب الجهاد)^(٣) أو (باب المجاهدين)^(٤)، وإنَّ ولوج هذا الباب يعني الفوز العظيم.

إنَّ للجنة طبقات أو بتعبير الآيات والاحاديث درجات، والمسافة بين الدرجة والاخرى لا يعلمها ولا يحصيها الا الله.

١ - نهج البلاغة، ص ٦٩، خطبة ٢٧.

٢ - الكافي، ج ٢، ص ٢٤٢.

٣ - أنظر: عوالي اللئالي، ج ١، ص ٣٦٩.

٤ - قال رسول الله ﷺ: «للجنة بابٌ يُقال له: باب المجاهدين، يمضون اليه، فإذا هو مفتوح وهم متقلدون سيوفهم، والجمع في الموقف، والملائكة ترحب بهم» [الكافي، ج ٥، ص ٣].

فقد جاء في الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَنْظُرُونَ إِلَى مَنَازِلِ شِيعَتِنَا كَمَا يَنْظُرُ الْإِنْسَانُ إِلَى الْكَوَاكِبِ فِي السَّمَاءِ»^(١).

هذه هي المسافة بين الدرجات في الجنة، فالابواب التي يلجها الصالحون ويعبرون منها الى الجنة، تُفتح على مناظر خضراء فيحاء واسعة، ولكن أعلاها درجة هو الباب الذي يلججه أولياء الله، فهو في أعلا عليين.

الموت ابتلاء

هنالك بعض المؤمنين من يلوم نفسه ويحدثها بأنه لماذا الدخول في ساحات العمل الرسالي المضنية، ولم لا نرتاح ونتمتع بالحياة كسائر البشر!

تُرى ألا يدرك هؤلاء أنَّ الحياة لا راحة فيها، لأنها تنتهي بالموت لا بالخلود. وألا يدركون أنَّ الموت سيفٌ مسلط على رقاب الأحياء فلا يستطيع أحدٌ أن يفكر في الراحة الحقيقية في الدنيا. فلو كُتِب لأحد الحصول على الراحة في الدنيا، لكان فرعون ونمرود وأمثالهما أولى بها، لأنهم كانوا يسعون لأجلها

١- الخصال [للصدوق]، ص ٦٢٩.

ولأجل الخلود فيها.

إِنَّ النبي سليمان وضعت له الدنيا أكنافها وسخر الله له كل شيء، واجتمع له مَلُوكٌ لم يجتمع لأحدٍ غيره، ولكنه لم يستشعر الراحة في هذه الدنيا قط.

فلقد كان هاجسه وأمله الذي لا ينفك عنه أن يرزقه الله بولدٍ يرثه، لكنه حُرِمَ من ذلك.

ولقد رُزِقَ بولد ولكنه مات، ورُزِقَ بآخر ليُبتلى به فأمر الجن أن يأخذوه ويضعوه حيث الغيوم كيلا يتخطفه الموت، ولكن مع ذلك أُلقي إليه ابنه ميتاً وهو جالسٌ على عرشه^(١).

إِنَّ حَيَاةً بلا مشاكل هي حياةٌ مستحيلة، فالأفضل أن نتحمل الصعاب وأن نواجه المشاكل في سبيل الله كي نثاب عليها.

علينا اليوم أن نترك تعلقنا بالأمور القشرية الدنيوية، ونتوجه الى ساحة العمل في سبيل الله بقلوب مطمئنة، ونواجه كل ما يعترضنا في سبيل الوصول الى رضا الله تعالى، وإعلاء كلمة الله في الأرض.

علينا ان نربي انفسنا وافراد اسرتنا ومجتمعنا على الاقدام

١ - أنظر: تفسير القمي، ج ٢، ص ٢٣٥.

والشجاعة والجلد والتضحية لننال رضا الله في الدارين وثوابه:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ
الْمُحْسِنِينَ﴾^(١).

١ - سورة العنكبوت، الآية ٦٩.

٤ - الجهاد رحمة للمؤمنين

العجز الانساني يتحدى القدرة المطلقة

إنَّ هذا الانسان لا يمثل سوى موجودٍ واحدٍ بين سائر الموجودات فوق هذا الكوكب الصغير - الارض - الذي يُعتبر بدوره قمراً من جملة الاقمار الدائرة حول الشمس، التي لا تمثل هي وما يحيطها من الكواكب سوى منظومة واحدة من ملايين المنظومات وضمن مجرّة واحدة، هي الأخرى واحدة من ملايين المجرات التي تملأ فضاء الكون الرحيب. هذا الانسان الضئيل والمحدود بالمكان والزمان تتنازعه عوامل عديدة في داخل نفسه، عوامل تدعوه ليتحدى رب هذا الكون ورب القدرة المطلقة فيه، وفي هذا التحدي تتجلّى آية جهل الانسان وظلمه لنفسه.

إنه بفعله هذا ينطلق من منطلقات عديدة قد يكون أبرزها عدم احاطته بقدرة الله وعظمته، ولذا نجده يتمرد ويعصي ويُفسد:

﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾^(١).

القرآن يجسّد الضعف البشري

إنّ الانسان كائنٌ ضعيفٌ جداً، ولكنه لا يدرك مدى ضعفه، فيتحدى ويتجبر على خالقه.

إنّ غاية الضعف البشري تتجلى عندما لا يستطيع أحدنا أن ينقذ نفسه من بين يدي الذباب! هذا المخلوق الصغير الذي يسلبه صحته أو يقلق راحته، لكنه لا يستطيع - وبأي شكل من الاشكال - أن يستنقذ هذه الراحة وتلك الصحة منه.

فلو أنّ الذباب أصاب الانسان بميكروبٍ مرضٍ ما، فإنه يقف عاجزاً عن دفع المرض عن نفسه، وكذلك العلم والاجهزة العلمية والاطباء سيقفون عاجزين عن اعادة الانسان الى ما كان عليه من الصحة والنشاط.

ميكروب بسيط لا يرى بالعين المجردة ينقله الذباب، يقف العلم حياله خاضعاً خاشعاً لا يحول دون استفحاله:

﴿وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفٌ

١ - سورة الحج، الآية ٧٤.

الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿١﴾.

أمثلة القرآن عودة الى الوعي

واليوم نجد هذا الانسان المتناهي في الضعف يقف - وبكل غرورٍ وتكبرٍ وخيلاء - فيملاً العالم ضجيجاً ويستعرض عضلاته بما صنعه ويصنعه من طائرات وصواريخ ورؤوس نووية.

ولكن رب العزة يتحدهاء فيقول له: إصنع ذبابة واحدة! ولك أن تجتمع وتعتقد المؤتمرات، ولكن إصنع ذبابة واحدة حية تتكاثر وتنقل كما خلقها الله:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ ﴿٢﴾.

وحتى البعوضة التي نستهيئ بها، لا يمكن، بل يستحيل على الانسان أن يخلق مثلها.

فلقد اكتشف العلم أن هذا الرنين القوي الذي يصدر منها، إنما ينتج عن رفرفتها بأجنحتها بمعدل ستمائة مرة في الثانية!. وهذه

١ - سورة الحج، الآية ٧٣.

٢ - سورة الحج، الآية ٧٣.

البعوضة تمتلك من حيث التركيب والتكوين كل ما يمتلكه الفيل
بإضافة جناحيها!

ولكننا نجد في هذا الانسان - الى جانب عجزه وضيق
إدراكه - ، طغياناً يملأ به الارض بل فضاء الكون أيضاً.

نجد الحكام الجائرين في العالم يريدون أن يفرضوا سيطرتهم
على الكون، وأن يتلاعبوا بمقدرات الشعوب، وهم لا يملكون أن
يخلقوا ذباباً أو أن يدرؤوا حتى أذى الذباب عن أنفسهم.

إن هؤلاء الاذئاب الذين وكلهم الله الى انفسهم الشيطانية
الشريرة، لا يمثلون في معادلة الكون سوى صفراً اقصى الشمال،
وهم يدعون الالهية وينازعون الله رداؤه وكبريائه، ويعيثون في
الارض فساداً وظلماً.

وإن لم يتواجد في الطبيعة أدلة على البعث والحساب، لكفانا
وجود هؤلاء المفسدين دليلاً على عدل الله وجنته وناره.

فالله تعالى لا يمهلهم عبثاً وهو يعلم ويرى ما يجترحون من
الآثام:

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي
كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾^(١).

١ - سورة الحج، الآية ٧٠.

اولياء الله واولياء الطاغوت طرفا نقيض

إِنَّ الْقُرْآنَ يَضْرِبُ مَثَلًا لِلَّذِينَ انْجَرَفُوا وَرَاءَ الطَّاغُوتِ،
وَانْسَاقُوا خَلْفَهُ لِيُحَقِّقُوا مِنْ جَرَاءِ ذَلِكَ مَطَامِعَهُمُ الشَّخْصِيَّةَ
وَمَصَالِحَهُمُ الذَّاتِيَّةَ، وَيَخَاطِبُ أَوْلِيَاءَ الَّذِينَ تَرَكُوا كَلَامَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ
وَطَاعَتَهُمَا وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وَالتَّقَوَّاهُ حَوْلَ عِبَادَةِ الطَّغَاةِ وَطَاعَتِهِمْ:

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ
لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾^(١).

القرآن الكريم يكشف للناس عن حقيقة هؤلاء الطغاة
وماهية نفوسهم وشخصيتهم، ويضرب لهم أبسط الامثلة لتبيان
ذلك:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾^(٢).

ولكننا نجد مع ذلك كله الكثيرين يوالون السلطات الظالمة،
ويسكتون عن أفعالهم، بل ويباركونها برضاهم!

هؤلاء يظنون بأن هذه الموالاة والطاعة تحقق لهم آمالهم

١- سورة الحج، الآية ٧١.

٢- سورة الحج، الآية ٧٣.

وتكفيهم مؤونة الكد والسعي وراء الراحة والسعادة، وتضمن لهم النجاة من التعذيب والسجن والنفي، ولكن الله يقول فيهم كلمة الفصل:

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾^(١).

والله امتحن ارادتهم وسجل ما أضمره في نفوسهم من الإنكباب على اللذائذ والشهوات.

الأطلال الدارسة دروسٌ وعبر

إنَّ الحفريات في الجزيرة العربية كشفت عن انها كانت مأهولة منذ إثني عشر الف عام، وكانت هناك حضارات تليدة وعريقة ولكن الله اهلكهم لظلمهم وسلب نعمتهم ولم تبق منهم سوى هذه الآثار.

إننا نطالب الذين يوالون الانظمة الظالمة أن يسألوا انفسهم: لماذا أهلكت الاقوام التي سبقتنا؟ وكيف انطمسوا مع تلك النعم الهائلة التي تمتعوا بها في حياتهم، ولم لم يكتب لهم الخلود؟
الجواب في آيات الذكر الحكيم:

١ - سورة الحج، الآية ٧١.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾^(١).

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(٢).

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾^(٣).

إذن، فما علينا سوى أن نتجه الى عبادة الله وأن نذر الطاغوت ونتمرد عليه، ونعلن استقلالنا الكامل عنه، فعند ذلك يتحقق النصر المبين بمعونة الله، وأما الظالمون فما لهم من نصير.

العلاقات الخبيثة لصالح من؟

إن العديد من الانظمة الحاكمة في المنطقة تعتمد اليوم على النفط والعمال الاجانب، وهي تتصور ومن يواليها أن الاستعمار

١- سورة النمل، الآية ٦٩.

٢- سورة الروم، الآية ٩.

٣- سورة محمد، الآية ١٠.

سيدفع لها الاموال مقابل البترول وحسب، متغافلين عن أن أمر دخول القوى الأجنبية في المنطقة هو خطرٌ عليها، فما هم إلا سُراق الارض الذين لم يرحموا شعوبهم فكيف بشعوب غيرهم!

هؤلاء الطغاة يريدون أن يشيّدوا قصورهم الفخمة على ركام الشعوب المستضعفة وبمساعدة الدول المستعمرة.

وهم اليوم يقودون هجمةً شرسةً ضد الوعي الاسلامي المتنامي، ويحاصرون الطلائع المؤمنة من كل حدبٍ وصوب، ويزجونهم في السجون الرهيبة ويمارسون بحقهم أشرس انواع التعذيب والارهاب.

إنّ النخبة المؤمنة في المنطقة الاسلامية وعلماءنا الابرار ذهبوا ضحايا لنزوات السلطات الغاشمة في العالم الاسلامي.

وسُقوا كؤوس الشهادة، وطوردوا وعُذِّبوا وسُجنوا لانهم كانوا يدعون عباد الله الى عبادته، يدعونهم الى الحرية والاستقلال، والى الحفاظ على كرامة الانسان المسلم، ويهتفون بهم أن الاستعمار ما هو الا مَصَّاص خيرات ودماء، يريد أن يحكمكم ويقضي عليكم، فيحلل حرامكم ويحرم حلالكم:

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ

كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتُلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ﴿١﴾.

الظفر لمن؟

إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يِعَانُونَ أَشَدَّ أَنْوَاعِ الْمَعَانَاةِ، هُمْ فَائِزُونَ لَا مُحَالَةَ إِمَّا بِالنَّصْرِ فِي الدُّنْيَا أَوْ الْفَوْزِ فِي الْآخِرَةِ بِدَرَجَاتِ الْأَبْرَارِ.

وَأَمَّا الطَّغَاةُ فَمَا وَاهِمُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا، وَيَزْجُهُمُ اللَّهُ فِي اسْفَلِ دَرَكٍ مِنْهَا.

إِنَّ الْعَذَابَ يَنْتَظَرُ هَؤُلَاءِ وَيَنْتَظَرُ كُلُّ مَنْ سَكَتَ عَنْ أَعْمَالِهِمْ وَفَعَالِهِمْ:

﴿أَفَأَنْتُمْ تُكْفِرُونَ بِمَا بَشَّرْنَا مِنْ ذَلِكَ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (٢).

صفقة رابحة

إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ الرِّسَالِيِّينَ الْيَوْمَ لَا يَأْلُونَ جَهْدًا فِي نَشْرِ دِينِهِمْ وَإِرْسَاءِ عَقِيدَتِهِمْ وَدَعْمِ رِسَالَتِهِمْ، وَهُمْ لِذَلِكَ يَتَعَرَّضُونَ لِلْمُطَارَدَةِ

١ - سورة الحج، الآية ٧٢.

٢ - سورة الحج، الآية ٧٢.

والتنكيل من قبل حاكمي بلادهم.

فهم يضحّون بالأهل والأقارب والولد والمال، وأهم من ذلك كله يضحّون بالنفس في سبيل الله وحده لا يُشركون به شيئاً، وهم بهذه التضحيات إنما يشترون لأنفسهم النجاة من النار. تلك النار التي أجاجها الربُّ العظيم حتى اسودَّ لونها فلا يموت فيها المرء ولا يحيا، وانما يظل خالداً معذباً الى ما شاء الله.

وفي هذه المعادلة القائمة بين العباد المؤمنين وربهم، صفقة رابحة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(١).

أما شأن الذين يتركون طريق الجهاد والعمل الرسالي ويفضلون العيش بعيداً عن مسؤولية الرسالة وأعباء الدفاع عن الدين، فهو لاء مُرجون لأمر الله، فإما أن يعذبهم وإما أن يتوب عليهم:

﴿وَأَخْرُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ

١ - سورة الصف، الآيتان ١٠-١١.

وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١﴾.

الحصانة النفسية والتعبئة الجسدية ضرورة

على المؤمنين اليوم - وكل يوم - أن يعبّئوا أنفسهم للمواجهة مع أعداء الله والإنسانية، وأن يبيعوا راحة هذا الجسد الفاني مقابل الجنة ورضوان الله:

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ ﴿٢﴾.

أما إذا سلكننا طريقاً غير طريق المتاجرة مع الله للوصول الى اهدافنا، كسبل الاستسلام والخضوع، فحينها سنحرف عن الجادة التي أرادنا الله أن نسلكها، الامر الذي سيؤدي بنا الى السكوت عن أفعال الطاغوت وما يعيئه من الفساد، ومن ثم السكوت عن ظلمه، ثم الرضا به شيئاً فشيئاً، ثم نستسيغه كأمرٍ طبيعي للغاية. وحينئذ يصبح حقاً على الله أن يحشرنا معه ويحاسبنا حسابه، كما يقول ويؤكد على ذلك الرسول الكريم ﷺ:

١ - سورة التوبة، الآية ١٠٦.

٢ - سورة التوبة، الآية ١١١.

«مَنْ رَأَى سُلْطَانًا جَائِرًا، مُسْتَحِلًّا لِحُرْمِ اللَّهِ، نَاكِثًا لِعَهْدِ اللَّهِ، مُخَالَفًا لِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، يَعْمَلُ فِي عِبَادِ اللَّهِ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ، ثُمَّ لَمْ يُغَيِّرْ بَقَوْلٍ وَلَا فِعْلٍ، كَانَ حَقِيقًا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَدْخِلَهُ مَدْخَلَهُ»^(١).

وكذلك تحصين النفس يُعتبر هو الآخر ضرورة هامة للمؤمن، لأنَّ النفس المنحرفة تأمرنا بالسوء وبالتالي ستجرنا بعيداً عن دائرة رضوان الله وعن الصراط الذي رسمه لنا، وتُردينا الى أسفل دركات الجحيم.

فاليوم قد يستزئنا الطاغوت لكي نؤيدهُ بعد أن رأى سكوتنا واستسلامنا، وغداً سيورطنا بأن نحارب عنه وعن أهدافه كما حدث تماماً لأهل الكوفة، حيث تخلَّوا في البداية عن سفير امامهم الحسين (عليه السلام) ورسوله اليهم وهجروه دون حماية، وبعد ذلك سلَّموه لابن زياد لقمةً سائغةً ليقبله، وعندما وجد منهم ابن زياد - لعنه الله - هذا الانصياع، زجَّ بهم وبكل سهولة في حربٍ طاحنة ووجهاً لوجه مع إمامهم الذي كانوا ليفقدونه بالغالي والنفيس وبيعثون اليه بالرسائل تلو الرسائل.

هؤلاء حاربوا دفاعاً عن عرش الطاغوت المتجبر - يزيد - وقتلوا امامهم وابن بنت نبيهم ولم يرقبوا فيه ولا في اهل بيته

١ - بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٨٢.

واصحابه إلا ولا ذمة، واشتروا بذلك اللعنة لأنفسهم والخلود في السعير والخزي في الدنيا والآخرة.

كيلا تتكرر المأساة

على الشعوب المؤمنة اليوم ألا تكرر تلك المأساة، وأن تحصن نفسها كما أمرها الله كيلا تُستدرج للدفاع عن مصالح الظالمين والطغاة المتسلطين على رقابهم بالنار والحديد.

وليحذروا جميعاً مغبة تخاذلهم وانسياقهم وراء الأهواء، وأن يستعدوا لبذل أنواع التضحية في سبيل الله، ويتمسكوا بما لديهم اليوم من الهدى الذي قد يسلبهم الطاغوت إياه غداً.



٥- الجهاد حصن الاستقلال

الاستقلال وعوامل التحدي

الاستقلال هو شعور الانسان بكيانه ووجوده، وأنه يشغل حيزاً معنوياً في هذا الكون، وممارسته لنمطٍ من أنماط الحياة إنطلاقاً من رؤيته الخاصة لها.

وما ينطبق على الانسان كفرد، ينطبق على البشرية كمجموعات. فالاستقلال هو أعز ما يملكه الانسان في حياته، فاذا فقد الاستقلال فقد كل شيء، فقد حريته، إرادته، شخصيته، تفكيره، قيمه وأخيراً وجوده في الحياة. لأنَّ الانسان ينشط في حياته ويتحرك ويسعى إنطلاقاً مما يحمله من رؤى وقيم ومفاهيم، وبدون هذه العوامل يصبح بقاء هذا الانسان أو المجتمع وفناؤهما سواء.

وهناك قوى بشرية واخرى طبيعية، تملأ عالمنا اليوم،

وتتحدى قدرة الانسان في المحافظة على استقلاله. فشهوات الانسان، واندفاعه نحو الملذات، وحرصه المفرط عليها، كل ذلك يذله ويحرّف نفسيته، كما أنّ افراطه في الحب - لشيء ما غير الله - وشدة تعلقه النفسي به، وكذلك انصياعه وطاعته العشوائية وتسليم قياد اموره لشرار الناس، كل ذلك يفقده الرؤية الواضحة، والتفكير الصائب، والانطلاق السليم لتحقيق الاهداف التي يصبو اليها.

وذلك نتيجة لتلك العوامل البشرية والطبيعية التي تساهم - وبشكل فعال - في هدم شخصية الانسان، وسلبه استقلاله الذاتي.

العوامل الطبيعية انحراف وأغلال

جاء في الحديث المروي عن رسول الله ﷺ:

«يُخْشِرُ الْمَرْءَ مَعَ مَنْ أَحَبَّ، وَلَوْ أَحَبَّ أَحَدُكُمْ حَجْرًا لَخْشِرَ مَعَهُ»^(١).

نستوحي من هذا الحديث أنّ اندفاع الفرد نحو حب الشيء أيّ كان نوعه، يفقده السيطرة على حواسه وقدرته على استخدامها

١ - شرح نهج البلاغة [لابن ميثم البحراني]، ج ٤، ص ٨٢.

بصورة صحيحة غير مغلوطة.

فافراط التعلق بالماديات، يُعمي الفرد ويصمّه عن أن يسمع أو يرى أيّ شيء، عدا ما يحب ويهوى. فيُمتسي إستخدام الفرد لحواسه وطاقاته إستخداماً سلبياً ومنحرفاً.

فالحب الشديد، والذي نصطلح عليه العشق أو الولّه، لو كان لغير الله تعالى من الماديات، يجرد الانسان من إستقلاليته ورؤيته وشخصيته، حيث إنّه لن يستطيع إحكام السيطرة على ناصية تصرفاته، وزمام عواطفه وسلوكياته. وهذا الإسراف في الحب والتعلق يسلب الفرد امتيازات رحمة الله وهدايته له، وبالتالي يصرف الله نظره عنه تماماً، ولذلك فإنّ العوامل الذاتية الطبيعية السلبية تمسك بقيادته، وتجره نحو الخيبة والانحدار والتردي.

العوامل البشرية ضغطٌ وحصار

كما أنّ هنالك قوى بشرية تصارع الانسان وتؤثر عليه لنزع إستقلاله.

هذه القوى البشرية قد تتمثل في الملوك والرؤساء الطغاة، أو الكهنة وأصحاب المال والمشعوذين. كل هؤلاء يحاولون انتزاع حرية الانسان، والعبث بمصيره، ومنافسته على نفسه! وذلك

بشتى الضغوط وأنواع الحصار التي يفرضونها على الفرد، حتى
ليجد نفسه عند مفترق طرق كلها مسدودة، لا تؤدي الى شيء
سوى الاستسلام والخضوع.

كيف نقاوم هذين العاملين؟

عندما يصل الفرد الى مفترق الطرق، فإنّه يصل الى لحظة
الحسم التي تغدو إرادته هي الحكم العادل فيها، فإما الانهيار وإما
الصمود.

فاذا اختار الانهيار فانما هو يهب نفسه - التي تعتبر أكرم
وانفس نعمة انعمها الله عليه - يهبها لشهواته ولمتجبري الارض
وطواغيتها، ويصبح حينئذ آلة طيعة بيدهم يسيرونها كيف وأنّى
شاءوا:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ
إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾^(١).

أما إذا اختار الصمود، فهنا تتجلى قيمته، قيمة الانسان
الصابر والقادر على حفظ استقلاله، وصيانة كيانه، ومقاومة
شهواته في داخل نفسه، ومقاومة اعدائه في خارجها.

١ - سورة البقرة، الآية ٢٥٧.

أي إنَّ مستوى الفرد ومكانته، تكمن في مقاومته للعوامل الطبيعية والبشرية المتكالبة بكل افرازاتها وسمومها على خلع استقلاله منه، وإلاَّ فان صفة الانسانية تنتفي عنه انتفاءً كاملاً.

والانسان لو أدرك أنه ليس إلاَّ مجرد عبد مملوك لله عزَّ وجلَّ، وأنه لا يجدر به أن يوجَّه إرادته الوجهة التي يهواها ويبغيها لأنه مرتبط بالله، فانه عند ذاك يوجَّه ارادته نحو هدف واحد هو مرضاة الله، وتحقيق الاهداف الرسالية التي ينشدها الدين الاسلامي الحنيف.

صنوف الصراع

إنَّ الصراع الحقيقي عبر التاريخ كان واحداً من اثنين، إما الصراع بين الانسان وشهواته وهو (الجهاد الاكبر)، أو الصراع بين الانسان وبين من يريد الهيمنة ظلماً عليه وهو (الجهاد الاصغر)، اي انه صراع مع العوامل الطبيعية أو البشرية، وقد يكون الصراع مع كليهما.

وبالتالي فان التاريخ يحركه عامل هام، ذلك العامل هو الاستقلال. والصراع التاريخي صراع بين الانسان وبين من أراد ان ينتزع منه استقلاله.

وهذه الحقيقة نستلهمها من الآيات القرآنية الكريمة. وهنا

ندرس واحدة من قصص النبي سليمان.

قصة النبي سليمان مع ملكة اليمن

تبدأ هذه القصة من غياب هدهد عن مملكة سليمان، وتهديد النبي له في غيابه:

فلما مثل بين يدي النبي سأله: اين كنت؟

فأجاب: كنت في بلدٍ يعبد اهلـه الشمس دون الله رب العالمين.

فبعث سليمان برسالة بواسطة الهدهد الى بلقيس ملكة تلك البلاد. ذهب رسول سليمان الى ذلك البلد، والقي بالرسالة الى حجر بلقيس وهي جالسة بين قومها. فاذا بها تجد رسالة سقطت بصورة غير معتادة بين يديها، ففتحتها وتلت:

﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^(١).

دعوتان كريمتان

حوت الرسالة دعوتين:

١ - سورة النمل، الآيتان ٢٩-٣٠.

الاولى: الدعوة الى عبادة الله سبحانه وتعالى:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

الثانية: الدعوة الى طاعة نبي الله سليمان والاستجابة لسلطانه

كخليفة الله في الارض:

﴿أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ﴾^(١).

الطاعة التامة للقيادة

عندما أَطْلَعَتْ بلقيس مستشاريها على فحوى الرسالة،

طلبت منهم ان يُشِيرُوا عليها بالرأي السديد والفكر الرشيد، للرد

بالاجماع على سليمان:

﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى

تَشْهَدُونَ﴾^(٢).

لكن وزراءها كانوا اقلّ منها حكمةً وذكاءً - كما يبدو -

حيث قالوا لها إنا سنرفض الدعوة ونقاوم، لاننا اقوياء لا نهاب

أحدًا:

١ - سورة النمل، الآية ٣١.

٢ - سورة النمل، الآية ٣٢.

﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأُسِّ شَدِيدٍ﴾^(١).

فالمجال كان مفتوحاً أمامهم لِيُبدوا آراءهم في هذا الامر الطارئ، لكنهم مع ذلك لم يفرضوا رأيهم هذا على ملكتهم، بل خيروها في التصرف وفق ما ترى مما تقتضيه المصلحة العامة للبلد: ﴿وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾^(٢).

إنَّ صفة الطاعة للقيادة عند هؤلاء القوم صفة تستحق النظر والتأمل العميق! لأنَّ هذه الناحية في حياتهم وتأصل هذه الصفة في نفوسهم أنقذهم من حرب الإبادة التي كان سيشنها عليهم سليمان ويهلكهم عن آخرهم، نظراً لأفضلية ما آتاه الله من قوى وامكانيات وجنود على هؤلاء.

فهم كانوا أصحاب قوة وبأس - كما قالوا - ولكنهم لم يستبد بهم الطيش والغرور، بل كانوا متواضعين للحق، مؤمنين بحكمة القيادة التي ارتضوها لأنفسهم.

فهم بالرغم من اتفاقهم مع ملكتهم على عدم الإستجابة لمطالب ودعوة سليمان، إلا أنهم جعلوا القرار الاخير بيد ملكتهم، ولو لم يكونوا مسلمين ومؤمنين بالقيادة، اذاً لانقلبوا ضدها

١ - سورة النمل، الآية ٣٣.

٢ - سورة النمل، الآية ٣٣.

واطاحوا بعرشها وثاروا عليها وحاربوا سليمان، يدفعهم الى ذلك طيش القوة وجنون العظمة، وتكون النتيجة الحتمية بالتالي الدمار والابادة لهم ولقومهم^(١).

موقفٌ حكيم

تتجلى لنا حكمة الملكة بلقيس في أنها فكرت في أمر هذا الرجل (سليمان) الذي دعاهم للخضوع الى سلطانه.

هل هو مَلِكٌ ام رسول؟ فالرسالة تنطوي على إشارة وتلميح بانها رسالة من قبل نبي وليس من قبل ملك:

﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^(٢).

ولكن رغم ذلك رفضت هذه المرأة قبول الدعوة التي تضمنتها الرسالة قبل التأكد والتحقق من الغاية والهدف الذي يكمن وراء هذه الدعوة. لأنَّ هناك مَنْ يستخدمون شعار الدين لبسط نفوذهم والهيمنة على مقدرات الآخرين وقهرهم بغير حق.

١ - كما يحصل لبعض الدول عندما يدفع التهور والغرور بعض الضباط للقيام بانقلابات عسكرية ومجيء قيادات لا تملك الحنكة والتجربة والكفاءة على ادارة البلاد، فيكون الدمار والخراب الاقتصادي والاجتماعي وغيره لمثل تلك المجتمعات المجردة من القيادة الحكيمة الواعية.

٢ - سورة النمل، الآية ٣٠.

فهي رفضت الاستجابة لظاهر الرسالة لأنها رسمت في ذهنها علامة استفهام: أهى من مَلِك ام من رسول؟ حيث إنَّ الرسول يحمل هدف إنقاذ الانسانية من الضلال والضياع، ويرسم أمامهم طريق الخير والصلاح، لأنَّ دعوته تنطلق من حبه للبشرية وسعيه لإسعادها.

أمَّا الملك فيريد السيطرة على الشعوب ومقدراتها ويحتم كالكابوس على صدورهم، فهو يريد الناس لنفسه ولخدمتها ولا يريد نفسه للناس!

ولذا قررت أن ترسل اليهم بهدية وتنتظر الجواب:

﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾^(١).

فان يك سليمان ملكاً فهو سيقبل هديتها لأنها ستستهويه ولن تستجيب هي وقومها بدورهم لدعوته، فهي تعرف - لذكائها - سيرة الملوك جيداً، ولذا:

﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾^(٢).

أما إذا كان رسولاً فإنه سيرفضها، لأنه في غنى عن الاموال

١ - سورة النمل، الآية ٣٥.

٢ - سورة النمل، الآية ٣٤.

ولا يحتاج إليها، بل يحتاج الى الباب وعقول تفهمه وتسمعه وتعي ما يقول وما يدعو اليه فتستجيب له ولدعوته.

وفي نهاية الامر، إتضح لها حقيقة النبي سليمان واستبان لها أمر دعوته، فدخلت تحت لواء الطاعة لله هي وقومها، وأخضعت كل مملكتها لسلطان سليمان ﷺ بعد أن تركوا الشرك وايقنوا بان سليمان يريد لهم الخير والرفاه والتقدم.

النظرة الاسلامية للامم والنظرة الغربية الدخيلة

وهنا يبرز الفرق واضحا بين الإنتشار الاسلامي وأساسا التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية، وبين الاستعمار الغربي والجاهلية الغربية والعصر الحديث.

فبزوغ فجر الاسلام - وكل الرسالات الإلهية - كان مولد خيرٍ ورفاه ويؤمن للبشرية جمعاء. فقد حمل الاسلام العلم والمعرفة والقيم والمثل والمبادئ لكل الانسانية ونشرها في ارجاء المعمورة. حتى الأوروبيون الحفاة العراة الذين كانوا يصطادون الاسماك من البحار، والوعول في الغابات، حمل اليهم الاسلام رياح المدنية والتقدم، ومكّنتهم من بناء هذا الصرح الشامخ من التكنولوجيا والعلم الحديث، وهو الذي حمل الحضارة الى افريقيا والى آسيا،

وسائر بقاع العالم.

فالمسلمون حينما كانوا يدخلون الامصار لم يكن هدفهم
الاذلال والاختضاع والطغيان، وإنما كان رائدهم في ذلك خير
المجتمعات وتقدمها، لذلك كانوا يؤثرون على تلك البلاد قادةً
وحكاماً من اهل تلك البلاد المفتوحة نفسها.

وهناك شواهد كثيرة على ذلك من تاريخنا الاسلامي
التليد، فالموالي - وهم المسلمون من غير العرب - هم الذين
حكموا ووصلوا الى مناصب رفيعة في قيادة الامم، حيث كان
المسلمون ينطلقون في تصرفهم هذا مما يحملونه من مفاهيم وقيم
رفيعة نابعة من العقيدة الاسلامية الالهية.

والأحاديث التي وردت بهذا الصدد كثيرة:

قال رسول الله ﷺ:

«أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَبِّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ آبَاكُمْ وَاحِدٌ، لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ
عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا
لِأَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ
عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(١)»^(٢).

١ - سورة الحجرات، الآية ١٣.

٢ - معدن الجواهر ورياضة الخواطر، ص ٢١.

وقال الإمام الصادق عليه السلام:

«النَّاسُ سَوَاءٌ كَأَسْنَانِ الْمُشْطِ»^(١).

وبهذه المفاهيم والافكار الانسانية العالية، استطاع الاسلام أن يمتد بسيطرته ويتوسع بفتوحاته في أرجاء المعمورة.

وبإلقاء نظرة فاحصة الى تاريخنا الاسلامي في القرن الرابع الهجري، يتبين لنا أن أكثر الحكام في ذلك العصر كانوا من غير العرب (ايرانيين أو اتراكاً أو اكراداً)، والذين حكموا البلاد الاسلامية في القرون الماضية هم الأتراك وليس العرب، بينما الغرب فرض على العرب حكماً ليسوا منهم لأجل إحكام السيطرة والاستعمار عليهم. ولكن المسلمين عندما فتحوا المدن نصبوا عليها واحداً منها، وخير مثال على ذلك: عند فتحهم المدائن نصبوا سلمان الفارسي والياً عليها.

هذه هي نظرة الاسلام في شؤون الامة والمجتمع، إذ لا مانع من جعل قمة المناصب الحساسة في البلاد الاسلامية بيد رجال من أبناء البلاد نفسها إذا كان هؤلاء الرجال ممن يمتلك الزهد والورع والتقوى والقدرة والكفاءة.

أما بالنسبة للمفاهيم السائدة في العالم الغربي فإنهم عندما

١ - تحف العقول، ص ٣٦٨.

استعمروا الشعوب الأخرى فرضوا عليهم مندوبين وحكاماً
وقادة من أبناء الدول المستعمرة وليس من أبناء البلد.
هذا هو الفرق بين الرسالة الاسلامية السامية وبين المفاهيم
والافكار الوضعية الاخرى.

وهذا هو الفرق بين اعدائنا وبيننا في طريقة الحكم وسياسة
البلاد. علينا ألا ننسى تاريخنا القريب، لأنّ الذي يُتَنَزَعُ عن تاريخه
يُتَنَزَعُ عن شخصيته، والذي لا يعتبر بتاريخه لا يحقّ له أن يعيش ويحيا.

الماضي الجريح وصمة في جبين الغرب

بعد أن اتّضح الفرق الشاسع بين مفاهيمنا الاسلامية ومفاهيم
اعدائنا الحاقدين نرجع قليلاً الى تاريخنا القريب، اي حوالي قبل ما
يقارب المائة عام وبالضبط سنة (١٩١٨) الى سنة (١٩٢١) لنلاحظ
ما صنعه أذعياء الحضارة والدفاع عن حقوق الإنسان في العراق.

حيث أحرق الاستعمار البريطاني ودمّر بنيارانه عشرات
الآلاف من الشعب العراقي المسلم. فما الذي دعا البريطانيين الى غزو
العراق؟ وما كانت مصلحتهم في ذلك؟ ومن الذي استضافهم؟

من المؤكّد أنهم قد انطلقوا من شعورهم بالقوة والبأس، اذ

قالوا:

﴿نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾^(١).

فلنبطش اذاً بالآخرين ما دمنا نمتلك مقومات القوة من مدّمّرات وطائرات وطاقات بشرية هائلة^(٢).

وهكذا فعل الهولنديون في اندونيسيا حيث قتلوا وذبحوا واحرقوا قرى وجزراً بكاملها، وكذلك كان منطق البلجيكي في افريقيا، والبرتغاليين في الخليج، وأما ما فعله الاوروبيون في افريقيا فحدث ولا حرج.

التمييز بين الاسلام والانظمة الوضعية

نظرة الاسلام الى بني البشر واحدة، مهما اختلفت دياناتهم

١ - سورة النمل، الآية ٣٣.

٢ - هذه الطاقات البشرية لم تكن من البريطانيين بالطبع، وانما كانت من الدول التي استعمروها واغلبهم من الهنود، وبالفعل فلقد غزوا العراق بجيش من الهنود المرتزقة وامروهم بقتل شعب العراق المستضعف. يقول تشرشل في الحرب العالمية الثانية: سنقاتل الى آخر جندي هندي! بينما كانت القيادات من بريطانيا وهذا إن دلّ على شيء فانما يعطينا دلالة واضحة على مدى ما يحمل هؤلاء في نفوسهم تجاه الشعوب الاخرى من احتقار وازدراء واستهانة بها، وهذا نفسه هو منطق فرعون الذي قال: (أنا ربكم الاعلى).

ولغاتهم واشكالهم، ومهما تفاوتوا من حيث الغنى والفقير، فالاسلام يتعامل مع الانسان وفق منظار العدالة المطلقة. أما نظرة المستعمرين والمستكبرين فهي نظرة استعلاء وكبرياء، إذ يعتبرون انفسهم ارقى من البشر جميعاً، لا بل ويريدون اعتبار الشعوب عبيداً لهم وخداماً لأغراضهم وطموحاتهم.

وتتجلى لنا ذروة قسوتهم وشراستهم في معاملة اهالي المستعمرات، وبشكل خاص في معاملتهم لسكان مستعمراتهم في افريقيا.

فلقد كانوا يسوقونهم سوق الإماء والعبيد، ويزجون بهم في السفن قسراً، ويبعثون بهم - بعد رحلة عناءٍ طويلة وشاقة يموت فيها الكثير من الجوع والعطش والمرض - الى بلادهم ليتاجروا بهم وبائثانهم، وبعد أن يرموا الكثير منهم في البحر طعمةً للأسماك، اذا ما خانهم الإحتمال وعجزوا عن مقاومة الظروف السيئة التي تمر بهم.

كانوا يتلذذون بتعذيبهم وقتلهم، هكذا كانت سياسة الاوروبيين والامريكان المتقدمين مع سكان المستعمرات، وهذه هي فلسفتهم ونظرتهم للانسان، وهذه هي حضارتهم، حضارة الذين يتشدقون بالدعوة للحرية والسلام والتقدم في العالم! ويرفعون شعارات الدفاع عن حقوق الإنسان.

الرفض الاسلامي لسياسات الاستعمار

إنَّ عصرنا الحاضر هو عصر الوعي والنهضة، عصر اليقظة من السبات العميق الذي كان مخيماً على البلدان الاسلامية.

فقبل حوالي ثمانية عقود تحولت البلاد الاسلامية الى جحيم تستعر تحت اقدام الغزاة الاوروبيين. فكلما دخلت قوات أجنبية الى بلد اسلامي، كان لعلماء الدين الافاضل الدور الريادي في قيادة النضال والتوجيه لمقاومة الاستعمار والغزاة.

فقد كانت لفتاواهم بوجوب الجهاد الاثر الفعال في المقاومة والاستبسال في الدفاع عن الوطن والعقيدة والكرامة.

ولأنَّ الاستعمار أحسَّ بتصاعد المقاومة من قبل الشعوب، وقوة الرفض للغزو والهيمنة الاجنبية، لذا فقد غيرَ خطته، واتبع اسلوباً جديداً للسيطرة على البلدان الاسلامية.

فقد دفع الى الساحة الاسلامية مجموعة من الملوك والرؤساء العملاء الخونة عبر خطط تأمرية مأكرة، جاؤوا وهم في الظاهر من اهل البلاد، لغتهم لغة الناس، وجوهم بلون وجوه الناس، ولكنهم في الواقع عملاء لسياسة الاستكبار العالمي المعروفة.

وهذه السياسة انفضحت هي الاخرى واكتشفت الشعوب

امرها، حيث اكتشف المسلمون أنَّ الانظمة المتعاقبة على بلدانهم لم تكن إلَّا دُمى تحركها الايادي الاجنبية في الخفاء.

ولقد اكتشف المسلمون هذا الميكروب الخطير الفتاك بجسم الامة، وعرفوا ان هذا الميكروب ليس هذه الانظمة الحاكمة فقط وانما هو من يقف وراء هذه الانظمة من الاستعمار المتلصص والمتسلل اليهم.

ولذا ثاروا وهتفوا بسقوط الانظمة العميلة بعد ان اكتشفوا كل الخدع والمؤامرات.

إنَّ تصاعد الوعي الاسلامي في كافة البلدان الاسلامية هو الذي جعل الاستعمار يدرك بأن لعبته انتهت بعد ان فُضح امرها، إذن يجب أن يعود الى سياسته السابقة (سياسة القمع والارهاب).

الشعوب تقاوم كل الاساليب

فمثلاً: الاستعمار في الخليج عرف أنَّ الشعب المسلم هناك يرفض الترويض والتركيع واساليب الخنوع للعملاء والخنوة، يرفض نهب ثرواته وتضليله ببعض المتاع، عرف كل ذلك فعمد الى الدخول بقواته وبحاملات طائراته للمنطقة لارهاب سكانها واخضاعهم بالقسر والقوة لسلطانه.

كما دفع الاستعمار الغربي بعشرات القطع العسكرية الى مياه البحر المتوسط، إضافة الى مياه الخليج.

وهكذا ساهم البريطانيون والفرنسيون وغيرهم الى جانب الامريكيين بغزو المنطقة الإسلامية بأسلحتهم، وبناء القواعد العسكرية فيها لانهم اكتشفوا بأن القضية لن تموت، لانها قضية شعوب مسلمة واعية.

الانظمة الحاكمة في المنطقة خائنة حتى النخاع

عندما انتهج الاستعمار في هذا القرن منطق القوة مع الشعوب المسلمة المستضعفة، فدمّر وأحرق وشرّد، لم نجد واحداً من انظمة المنطقة يهبّ للرفض والمقاومة والدفاع عن الشعوب.

الاسلام يدعو الى الدفاع عن الكرامة والعقيدة والوطن والحضارة بدافع إلهيٍّ إسلاميٍّ وليس بدافع القومية البغيضة، ولكنهم - أي الانظمة - حتى هذه القومية التي كانوا يتشدقون بها لم يعد لها في قاموس مصطلحاتهم المزيفة اي معنى أو تطبيق.

الجهاد سبيل الخلاص

اذا كان منطق الارهاب والقوة والقمع هو منطق العصر

شئنا أم أبينا، فماذا نملك أن نفعل حيال هذا المنطق؟

للإجابة على هذا السؤال نقول: انه لا بد للامة الاسلامية أن تعود الى حصن الاسلام الحصين، وقوة الاسلام وعزته وتعاليمه السمحاء، فهي التي ترسم لنا طريق العز والكرامة والنصر.

إنَّ الطريق الذي يجب ان نسلكه، طريق العمل الرسالي المجاهد في سبيل الله، وفي سبيل العزة والشموخ، طريقنا يبدأ حينما نقضي على التقاعس، وننسى الخنوع، ونرفض الاستسلام.
قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتِلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾^(١).

طرق الجهاد

وواضح أن الجهاد لا يكون بالقتال وحده فحسب، بل للجهاد نواحٍ أخرى وحقوق عديدة.

ومن حقوقه الاستعداد لمقارعة الظالمين ومواجهتهم:

١ - سورة التوبة، الآية ٣٨.

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾^(١).

وبذل المال في سبيل دعم وتقوية العمل الرسالي في كل مكان هو حقل آخر، فالجهاد يكون بالاستعداد بالعلم، بالتنظيم، بالوحدة، بالتدريب، برفع قدراتنا وتفجير طاقاتنا والاستعداد التام لمواجهة الاحداث والظروف.

الفرد المؤمن المجاهد لا يريد لنفسه اسماً ولا رسماً، لانه نذر نفسه لرب العالمين، وان الله ينصر من ينصره:
﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢).

١ - سورة الأنفال، الآية ٦٠.

٢ - سورة الروم، الآية ٤٧.



استراتيجية الجهاد

- ١- الهجرة الى الوطن عبر جسر الجهاد
- ٢- كيف نسير على درب الشهداء
- ٣- كيف نتكامل في رحلة الجهاد
- ٤- كيف نجعل من ساحة الجهاد محراباً للعبادة؟
- ٥- اهداف القتال في سبيل الله



١- الهجرة الى الوطن عبر جسر الجهاد

تاريخ الشعوب دروسٌ وعبر

في التاريخ تجارب وفي حياة الشعوب عبر، وفي سنن الماضين دروسٌ نافعة لمن أراد أن ينتفع، ومواعظ مفيدة لمن أراد أن يتَّعِظ. والرسالات الالهية لا تكرر القيم الحقّة التي أُودِعت في فطرة الانسان فحسب، وانما توجه الانسان أيضاً الى مراجعة تلك الدروس، والإعتبار بتلك المواعظ والعبر، والاستفادة من تلك السنن.

وللرسالات السماوية دوران:

- دور أساسي، وهو تكريس قيم الله في المجتمع وفي النفس.
- ودور آخر، وهو التذكير بالمنهج السليم الذي يوصل الانسان الى الطريق الافضل، وبالتالي الى الهدف الذي يبتغيه.
- فالرسالات السماوية نورٌ وهدى، فهي (هدى) من جهة

لأنها تمثل القيم، و(نور) من جهة أخرى لأنها تعطينا الوسائل المناسبة للوصول الى الحقائق.

ومن تلك الوسائل تذكرة الانسان ليعتبر بما مضى من تاريخه.

الانفصال عن التاريخ ضياع

والفرد الذي ينفصل عن تاريخه - كهؤلاء الذين يهاجرون من بلادهم من أجل الرزق وينسون انتماءهم - نراه يعيش في أقصى الشرق أو الغرب ولكنه عندما يذهب الى هناك لا يفهم ولا يعرف كيف يمكنه أن يعيش.

فالذين ينفصلون عن تاريخهم نراهم:

١- لا يهتمون بهدى الشعوب التي تستضيفهم لأنهم لا يحسبون بأن تاريخ وقيم وحياة تلك الشعوب هي حياتهم وتاريخهم وقيمهم.

٢- لا يستفيدون من تاريخهم واصالتهم أنفسهم لأنهم:

﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾^(١).

١ - سورة إبراهيم، الآية ٢٦.

والقرآن نور، ونور القرآن مرتبط بالفرد عبر اتصاله بتاريخ شعبه وتاريخ أمته، وهكذا ينتمي الى الشعب والى الأمة ككل.

والامة التي تنفصل عن تاريخها هي أمة محكوم عليها بالزوال، تماماً كالشجرة المجتثة من فوق الارض ما لها من قرار وما لها من اصل، وهي لا تلبث أن تتعفن او تصبح حطباً يحترق ووقوداً يشتعل من أجل مصالح الآخرين.

٣- يمكنون الطغاة بأنفسهم منهم كي يقودوهم الى الضلالة والمصير السيء. ولكن كيف تنبأنا بذلك؟

التجارب التاريخية منهجٌ ثمين

إنَّ التاريخ هو الذي يكشف لنا الاخطار الغير مباشرة التي تهددنا. فهو الذي كشف لنا كيف أنَّ (زياد بن ابيه) صنع تلالاً من رؤوس الناس حينما تسلط على البصرة أو الكوفة، والتاريخ انما يكشف لنا مثل هذه الحقائق كيلا نسمح بامثال (زياد بن ابيه) أن يتسلَّم منصباً من مناصب الدولة، أو لمثل (الحجاج ابن يوسف الثقفي) الذي اصبح والياً على العراق فقتل مائة وعشرين الف انسان صبراً، وألقى بالناس في سجونهم حتى انهم اذا لبثوا فيها عدة اشهر انكرهم من كان يعرفهم لشدة ما يطرأ من التغيير على

ملاحمهم وهيئتهم.

والتاريخ هو الذي يقول لنا بان حاكماً ظالماً كـ(صدام) المقبور ينبغي ان يُحَارَب منذ أول يوم لتسلمه السلطة، ولا يُسَمَح له بان يثبت دعائم سلطته واركان حكومته ويخدع الناس بسياسته الماكرة، حتى يصل الامر بالناس المحكومين من الهوان والضعف والخذلان الى ما يقول الامام علي عليه السلام:

«ثُمَّ تَدْعُونَ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ»^(١).

إنَّ الكثير من الناس قد تركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأصبحوا لا تهمهم أمور المسلمين، والتحفوا برداء الانانية والإهتمام بالشؤون الشخصية فقط، بينما التاريخ يوصينا بالاهتمام بشؤون الامة جميعها والعيش مع الناس مجتمعين متفاعلين، ذلك لو أردنا التغلب على مشاكل حياتنا.

فالذي لا يصبر على اخوته، ولا يتواضع للمؤمنين الصادقين من ابناء وطنه، لا بد أن يطأطئ رأسه لاعدائه واعداء المؤمنين. والذي يفقد القدرة على التعايش السليم والتعاون البناء مع اخوته، ويفقد اخلاقه، لا بد ان يفقد حياته، لأنَّ الاخلاق هي التي تربط حياتنا بحياة الآخرين وتشد الاواصر وتقيم العلاقات

١- نهج البلاغة، ص ٤٢٢. بحار الأنوار، ج ٤٢، ص ٢٤٩، ح ٥١.

السليمة فيما بيننا.

فان عشنا متعاونين مع إخواننا المسلمين في كل مكان
إستطعنا أن نتصر على الاعداء، وإلاّ فهم سوف ينتصرون علينا.
والذي لا يملك رؤية تاريخية لا يمكنه فهم هذه الحقائق، وهو لا
بد له ان يجرب في يومٍ ما هذه الامور.

واعتصموا بحبل الله

إنّ من ابرز الصفات التي ينبغي أن نتزعها من قلوبنا هي
صفة الفردية التي تدعو كل فرد الى العيش وحيداً، ناجياً بنفسه،
مفكراً بمصالحه.

إنّ هذا ليس صحيحاً، فليست مسؤوليتك أن تنجو بنفسك
فقط كي تعيش في أمان واطمئنان، فلا بد أن تفكر في الآخرين
وتجعل من نفسك واصدقائك ومَنْ حولك مجموعة واحدة
متعاونة من أجل حلّ مشاكل المجتمع.

لا بد لنا أن نستلهم الروح الحضارية من تاريخنا الاسلامي
المجيد، وأن ندرس تاريخ الحضارات كي نستلهم منها الدروس
والعبر، وسنجد أنّ الانطوائية والانعزالية والفردية هي الاسباب
الرئيسية التي كانت وراء انهيار تلك الحضارات. وعليه لا بد أن

ننظم أنفسنا ضمن مؤسسات وتجمعات تفكر جدّياً في إصلاح
الأُمور وحل المشاكل.

٢- كيف نسير على درب الشهادة

﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ * وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾^(١).

الاسلام الاطروحة الاشمل

من خصائص الفكر الاسلامي وميزاته التي تكسبه قوة ومنعة وأفقاً واسعاً ونظرة عميقة للامور هي شموليته للحياتين: الدنيا والآخرة.

فحينما يعطي هذا الفكر بصيرة لكافة المسائل والقضايا، فانه

١- سورة آل عمران، الآيات ١٣٨-١٤٢.

يعطي للإنسان أيضاً حلاً حقيقياً للمشاكل التي تعترض مسيرته في حياته وتواجهه بعد مماته، وما بعد الموت أشد وأعظم خطراً. إنَّ حياتنا على هذا الكوكب هي من القصر بحيث لا يمكن أن نقيسها بطول حياتنا الخالدة في الآخرة.

وإنَّ المبدأ الذي يستطيع أن يحل مشاكل الإنسان في هذه اللحظة الدنيوية الزائلة فقط، هو مبدأ بسيط جداً، ولكن المبدأ الذي يعالج الحياة الأخرى بمشاكلها وعقباتها، ويعالج - إلى جانب ذلك - مشاكل الحياة الدنيا أيضاً، هو مبدأ جدير بالاهتمام، ولعظمته وأهميته ينبغي أن نبحث عنه وأن نتعرف عليه ونطبقه. وهذا ما يمثله بالطبع الفكر الإسلامي بقاعدته العريضة التي تشمل كل قضايا البشرية ومشاكلها.

الجهاد مدرسة الموهوبين

إنَّ من أبرز الأمور التي يعالجها الفكر الإسلامي هو مسألة الجهاد، التي تقدم حلول الكثير من مشاكل الإنسان.

ومن فوائد الجهاد والعمل الرسالي هو تربية الإنسان وتزكية نفسه وإعداده للآخرة، ذلك لأنَّ أساس فلسفة الدنيا وحكمتها يقوم على تهيئة الإنسان وإعداد روحه وإرادته ليكون مستعداً

لضيافة الله. كما إِنَّ العمل الصالح يهيء الانسان ويُعده لدخول الجنة:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾^(١).

فالذي عمل صالحاً، وختم الله له بالصالح، سيكون مستعداً لأنَّ يحل ضيفاً على رب العزة والرحمة.

فالجهاد في سبيل الله هو تركيز للعمل الصالح، وهو مدرسة خاصة للموهوبين، إنَّ صح التعبير!

فكما أنَّ هناك مدارس خاصة بذوي الذكاء الخارق والمواهب العظيمة، فإن الجهاد يُعتبر أيضاً مدرسة الاذكاء والموهوبين في هذه الحياة.

إنَّ برامج الجهاد مكثفة وسريعة، وطريق الجهاد هو أقصر الطرق إلى الجنة، يسلكه اقرب الناس الى الله زلفة، واکرمهم فضلاً، وارفعمهم قدراً.

جاء في الحديث:

«إِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَتَحَهُ اللَّهُ لِخَاصَّةٍ

١ - سورة البروج، الآية ١١.

أُولَئِكَ»^(١).

إِنَّ اللَّهَ يؤكد لنا في مجموعة الآيات التي تلونها من سورة (آل عمران) بأنَّ الجهاد ضرورة إيمانية.

فلو لم يكن هناك كفرٌ وشركٌ فوق الأرض، ولو لم تتوفر فرصة الجهاد ومحو هذا الشرك والضلال من على الأرض للمؤمن، لضاع عليه أقصر وأثمن المسالك للوصول الى الجنة ومرضاة الله.

كل التضحيات من أجل النصر

يقول الله تعالى:

﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٢).

فجميع الناس (المؤمنون وغير المؤمنين، المتقون وغير المتقين) كلهم معنيون بما سيأتي من الآيات الكريمة.

فهو بيان لجميع الناس، إِلَّا أَنَّ المؤمنين المتقين هم أكثر الخلق إستفادةً من هذا البيان:

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٣).

١ - نهج البلاغة [صبحي الصالح]، خطبة رقم ٢٧، ص ٦٩.

٢ - سورة آل عمران، الآية ١٣٨.

٣ - سورة آل عمران، الآية ١٣٩.

فنهاية الجهاد النصر المبين، واقامة حكم الله في الارض، وانتصار الحق على الباطل. وهذا هو ما وعد الله به عباده المؤمنين. فهو يحث المؤمنين في هذه الآية على أن يجاهدوا من موضع القوة فيهاجموا الاعداء، لا أن يقفوا موقف المدافع الضعيف الواهن. فالهجوم واستمداد القوة من الله والتضحيات هي كلها رخيصة وقليلة بالنسبة الى ما سيتحقق من النصر الالهي المؤزر، والشهداء الذين يضحون بانفسهم، فإن عظمتهم تساوي عظمة النصر وقيمته.

ثم يقول تعالى:

﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾^(١).

إن الله لم يكتب البقاء والخلود للطواغيت والظلمة، بل العكس هو الصحيح، فهو جَلَّ وعلا جعل تبدل السلاطين والحكام سُنَّة للحياة، وجعل في هلاكهم عبرة لامثالهم وراحة للعباد، وهو تعالى شأنه يداول الايام بين الناس، فيومٌ ينتصر فيه المؤمنون ويمسكون بزمام الامور، ويومٌ آخر يتسلط فيه الطغاة على رقاب الشعوب ردحاً من الزمن.

١ - سورة آل عمران، الآية ١٤٠.

والهدف من هذه المداولة والصراع والجهاد هو كما تذكره الآية الكريمة:

﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾^(١).

وهذا هو الهدف الاول الذي يتمثل في فرز وفصل المؤمنين عن المنافقين الذين يدعون الايمان. ففي لحظة الجهاد والصراع يثبت ايمان المؤمنين الصادقين وينكشف نفاق المخادعين، وفي هذا امتحانٌ عسير.

حتى الفرد الذي يحسب نفسه من المؤمنين ويتمنى من الله إدخاله الجنة ولكنه يسكت عن الحق كشيطان أخرس في مواجهة الطغاة، حتى هذا الفرد ينكشف في ساعة الامتحان، لأنه لا يمكنه اجتياز هذا الامتحان بسلام.

فالانسان يملك أن يرفض الظلم وأن يعمل لإزالة الظالمين ومحو ظلمهم، وإن لم يفعل فقد ضيّع على نفسه فرصاً ثمينة.

معراج المؤمن ثباته في الصراع

﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾^(٢).

١ - سورة آل عمران، الآية ١٤٠.

٢ - سورة آل عمران، الآية ١٤٠.

في بوتقة الصراع تنمو كفاءات المؤمنين ويكبر المؤمن في الصراع كل يوم بقدر ما يكبر في غيره في كل عام، ويتحول المؤمن عبر الصراع الى قائد يقود شعبه وامته نحو المعاني والقيم السامية. إنَّ من أبرز معاني كلمة (الشهداء) المذكورة في الآية الكريمة هو معنى القيادة والسيادة. فبعض المؤمنين قد يدخلون سجون الطغاة وهم افراد عاديون ولكنهم يتخرَّجون منه قادةً عظماء، فالسجن هو مدرسة للرجال الابطال.

وكذا عندما يصل المرء الى درجة الشهداء ومصافهم يكون سيداً على امته وقائداً لعصره ولجميع العصور. ولكن على المؤمن ألا يقطع صلته بربه وفي جميع اللحظات، وألا يفترق عنه، وألا يكفَّ عن مناجاة حبيبه وانيسه، فالمؤمن اذا اقترب الى الله خطوة اقترب اليه ربه ميلاً: ﴿وَلِيَمِخَصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾^(١).

ففي قلب كل مؤمنٍ شوائب تتجسد في الخوف من غير الله، والضعف أمام الشهوات وزينة الحياة وزخرفها، إلا أنَّ الجهاد في سبيل الله يمحصُّ قلوب المؤمنين ويجعلها طاهرة وبعيدة عن هذه الشوائب.

١ - سورة آل عمران، الآية ١٤١.

اهداف الصراع الرسالي

إنَّ الصراع الذي يخوضه الرساليون ضد الجاهليين له هدفان: هدف التأثير على الواقع الخارجي، وهدف التأثير في الواقع الداخلي والنفسي لمن يدخل هذا الصراع، بينما ليس للكفار في هذا الصراع سوى هدف واحد وهو تحطيم المؤمنين.

فالمؤمنون يريدون أن يهزموا الكفار من جهة وأن يبنوا ذواتهم من جهةٍ أخرى، بينما الكفار يريدون تحطيم الآخرين وكسب نهاية الصراع! وهم بذلك سيمحقهم الله ويحطمهم، لأنَّ حياتهم قائمة على أساس الهدم لا البناء، بل هم الذين سيساهمون في هدم كيانهم وبأيديهم وأيدي المؤمنين:

﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١)

في حين سيخرج المؤمنون من هذا الصراع أكثر كفاءة وقوة واقتداراً.

المؤمنون قوافل عطاء

يقدم المجاهدون أنفسهم قرابين للشهادة، كالشهداء

١ - سورة الحشر، الآية ٢.

الاحياء في سجون الطغاة، والشهداء الذين قُتلوا ولكنهم عند ربهم يُرزقون.

فالكثير من الشعوب الاسلامية اليوم تعاني الاضطهاد، ولكنها مع ذلك تقدم قوافل من الشهداء، وتعاني من وطأة الارهاب، وتعرض لكثير من الضغوط في سبيل الله.

فعلى هذه الشعوب أن تستفيد من الجهاد في سبيل الله، فتجعله تمحيصاً لها، وبناءً لقوتها الذاتية، وتطويراً للصراع الذي تخوضه، وبتعبيرٍ آخر: على الشعوب المقهورة ألا تنظر الى عمليات الاعتقال والاعدام وما اشبه بعيداً عن فلسفة وجود الانسان المؤمن في الدنيا، وعليها أن تفكر في استغلال هذه الظروف من أجل بناء القوة الذاتية وبناء المجتمع الاسلامي الخالص ومن أجل بلورة الشخصية الرسالية الممحصّة والطاهرة من الشوائب الشكلية والجوهرية.



٣- كيف نتكامل في رحلة الجهاد

إنَّ سقوط الدول الجائرة لا يتم بسبب ضعفها وتناقضاتها الداخلية فحسب، وإنما يتم أيضاً على أساس قوة المؤمنين الذين يشهرون قبضة المقاومة في مواجهة معادلات الباطل والفساد، والذين يوفرون بعملهم هذا أحد شروط الانتصار المهمة.

إنَّ طبيعة السياسة - كما هي طبيعة سائر الأمور في الكون - ترفض الفراغ، وخاصة إذا كان هذا الفراغ حاصلاً في المنصب القيادي لأُمَّةٍ ما.

فإن لم تكن هنالك قوةً اجتماعيةً وسياسيةً صالحة مرشّحة لاستلام مقاليد الحكم بعد سقوط الدولة الجائرة، فإن تلك الدولة لا تسقط، وإن كانت ضعيفة مهلهلة وواهنة، فأَيُّ نظام حكومي لا يتكس ولا يُنحَى عن كرسيه ما لم تبرز امامه مجموعة مناوئة تقلق مضجعه وتزلزل أركانه.

فالله عزَّ وجل لا يبارك للمسلمين وجودهم ولن ينصرهم ما

لم يشبتوا جدارتهم في العمل، ورغبتهم الخالصة في النصر، وتأهّبهم لسد النقص الناشئ بعد سقوط الحكومات الكارتونية الهزيلة.

المطلوب ارادة حازمة وكيفية عالية

إنَّ العالم قائم على أساس إرادة الانسان، والله عزَّ وجل يجرب هذه الارادة لدى كل فرد، فهو عزَّ شأنه، لا يُسقط الطغاة إلاَّ عبر ارادة المستضعفين والمضطَّهدين والمقهورين.

ولتحقيق النصر هنالك في البدء حقيقتان يجب الايمان بهما:

ألف: إنَّ النصر لن يتم اذا لم يُثبت المسلمون جدارتهم في تطبيق وتحقيق النصر الالهي، وإرساء دعائم الرسالة المقدسة في الارض، بعد أن أعانهم الله على ايجاد شروط النصر وظروفه في أنفسهم.

باء: إنَّ الكمية العددية لا يمكن الارتكاز عليها واخذها بنظر الاعتبار على انها تلعب دوراً مهماً في تقرير مصائر الطغاة، أو مصائر الحركات المناهضة للطغاة، حيث إننا لو أردنا حساب الكمية فان الدول الظالمة تملك عادةً الكمية الاكثر عدداً - على الاقل - في مجال المواجهة.

اذن الكيفية والنوعية هي المطلوبة. فكم من قلة مؤمنة غلبت كثرة فاسقة، ذلك لأنها تحصنت بالايمان:

﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(١).

شروط الانتصار

هنالك سؤال يفرض نفسه، ما هي شروط الانتصار؟ أو بعبارة أخرى: ما هي الظروف والعوامل الضرورية التي يجب أن يوجدوها المسلمون في أنفسهم حتى يكسبوا النصر؟

قد تكون شروط الانتصار كثيرة، وقد نتوصل إليها وقد لا نتوصل، ولكننا بقدر وعينا لها نستطيع أن نصل الى الانتصار الذي نرمي اليه:

العامل الاول: الموقف السليم من الموت

إن من العوامل البارزة الأولى، والتي تلعب دوراً هاماً في النصر، هو الموقف السليم للانسان من الموت!.

فما هو الموت؟ وما هو موقفنا من هذه الظاهرة الكونية التي

١ - سورة البقرة، الآية ٢٤٩.

تتكرر باستمرار ومع كل فرد شاء أم أبى؟.

إذا كان موقفنا من الموت انهمازياً وجباناً، فلا بد أن يكون الانهماز حليفنا في جميع المواقف الأخرى. ذلك لأنّ الذي ينهزم من الموت إنّما ينهزم - بطبيعة الحال - من كل شيء يسبّب الموت، سواء كان بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

فالشيطان الداخلي والخارجي للانسان يوسوسان في صدره ويخوفانه من الموت عند مواجهة كل حقيقة.

وتبقى التساؤلات وعلامات الاستفهام المتواترة عن مسببات الموت تتراكم وتتلاطم في ذهنه كالأمواج: كيف يمكن أن يموت الانسان؟ أبالزكام، أم بالسرطان، أم بمرض الكلية، أم بالسكتة القلبية، أم بالاصطدام، أم بماذا؟.

وهكذا يبدأ بالخشية من الموت واسبابه الحقيقية، حتى يتطور هذا الخوف وينتهي به المطاف الى أن ترتعد فرائضه من كل شيء بإمكانه أن يؤدي الى الموت.

إنّ الانسان الانهمازي يخشى كل شيء حتى ظله. فتجده لا يمشي، ولا يعمل، ولا يتحرك، ولا ينتج، ولا يصارع الحياة خوفاً من الموت باحدى هذه السبل، وهو لا يدرك انه بهذا المنحى

الذي ينحاه إنما يقرب حلول الموت الى نفسه عاجلاً غير آجل، لان السكون بذاته والتقاعس والخوف والكسل الذي يعيشه، كلها موت أيضاً.

اما اذا كان موقفنا موقفاً شجاعاً باسلاً فاننا سنعيش الحياة الحقيقية، فضلاً عن تأجيل عامل الموت عن أنفسنا، ويمكننا أن نقدم على هذا الامر بأن نؤمن بحقيقة واحدة، وهي الاعتقاد بان الموت لا يأتي الا باجل مكتوب عند الله، وهو قضاءً مقضي لا يمكن الفرار منه، وقد بين جل شأنه هذه الحقيقة في محكم كتابه: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾^(١).

والامام علي عليه السلام يقول في الموت:

«كَفَى بِالْأَجَلِ حَارِسًا»^(٢).

إن هذا الحديث يغذي الروح المؤمنة المحصنة بمثل هذا اليقين، يغذيها بمزيد من وهج الشجاعة والبرسالة والاقدام.

العامل الثاني: الارادة والعمل

لو فكر الانسان ملياً فيما يقوم به من أعمال، وعرف بل

١ - سورة آل عمران، الآية ١٤٥.

٢ - نهج البلاغة، ص ٥٢٩، قصار الحكم، ح ٣٠٦.

وايقن بان لكل عمل جزاءً يتناسب ونوع العمل المؤدى، فانه سيكون عند ذلك في حذر تام في اختيار نوعية العمل الذي يؤديه:

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(١).

كثيرون هم الذين يخدعون انفسهم، متجاهلين أو متناسين، بأن أعمالهم هي التي ترسم مخطط حياتهم. فقد يظنون بأن الطبيعة من حولهم بما فيها من أشجار وانهار هي سبب شقائهم أو سعادتهم. وهكذا فانهم يهتمون بكل شيء سوى نوع العمل الذي يقومون به. وهم ينسبون كل شيء الى حياتهم دون أن يربطوا بينها وبين عملهم المنبعث عن ارادتهم الحرة.

لكن القرآن يأتي ليزيح الوقر والغشاوة، ويفند هذا الاعتقاد، مبيناً بان موقف الفرد السليم من الحياة والمنبعث عن الايمان الخالص والارادة الحقيقية هو موقف مجزي عليه بافضل الجزاء، اذ يقول عز من قائل:

﴿مَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾^(٢).

١ - سورة الزلزلة، الآيتان ٧-٨.

٢ - سورة آل عمران، الآية ١٤٥.

العامل الثالث: الاستعداد لخوض الصراع

إنَّ من العوامل المهمة لتحقيق الانتصار هو الاستعداد لخوض معترك الحياة بما فيها من صراعات، ومهاجمتها قبل أنْ نتعرض للهجوم من قبلها بغتةً. هذا الاستعداد الدائم لمواجهة الاعداء يخلق فينا تأهباً روحياً ولياقةً جهادية تتمخض عن درع واقٍ ضد الطوارئ والمفاجآت، وهذا امرٌ إيجابي. أمّا الخمول والكسل، فانه يقتل الفرد في عقر داره ويخلفه مهزوماً مقهوراً.

والقرآن يحدّد لنا معالم هذه الحقيقة في قوله:

﴿وَكَايْنٍ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾^(١).

إذ يبدأ بالحديث عن الانبياء، وهم صفوة الخلق، ثم يليهم الرّبِّيُّون الذين تربوا على أساس الهدى والتقوى، وبالتالي كانوا ربابين في اتصا لهم بالله، حتى حدا بهم الامر أن يقاتلوا أو يُقتلوا في سبيله.

هنا يجدر بنا ان نسأل أنفسنا فيما إذا كانت دماؤنا اشد احمراراً واكثر طُهرًا وشرفاً من دماء الانبياء والرّبِّيِّين؟!

العامل الرابع: الصبر والاستقامة

ثم قال تعالى عن الأنبياء والرّبِّيِّين:

١ - سورة آل عمران، الآية ١٤٦.

﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا﴾^(١).

من الاعراض التي تظهر على الرسالي وتستفحل في نفسه، وتعمل على اخماد جذوة الحماس والنشاط والاندفاع التي كان يتحلى بها في البداية، هو خور العزيمة والوهن والخمول. لذا كان لزماً على المؤمن أن يستقيم ويبقى على نفس المستوى من الجدية والحرارة بل وأكثر، فلا يهين ولا يضعف ولا يستكين.

وحتى لا تعثره امثال هذه الاعراض الخطيرة عليه أن يشحن نفسه بالايان بالله والصبر:

﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾^(٢).

فالروح المتيقظة النشطة، وعدم التفكير بالراحة، والإعداد المستمر المنظم، هي جملة امور اذا اجتمعت لحقت النصر المؤزر في العمل الرسالي.

العامل الخامس: تكامل الذات في الصراع

إنَّ تكامل الذات في الصراع يخلق للانسان درعاً حصينة

١ - سورة آل عمران، الآية ١٤٦.

٢ - سورة آل عمران، الآية ١٤٦.

تقيه الأزمات، وما علينا نحن سوى أن نتخذ من عملية المواجهة الرسالية بوتقة نصهر فيها الجانب السلبي من أنفسنا ونصوغها من جديد، بعيدة عن الرواسب والسلبيات والذائل. فساتح الجهاد مدارس عظيمة تتكامل فيها الروح البشرية وترقى الى مستوى رفيع.

إن مدرسة الجهاد هي التي تجعل الرساليين يقدمون على التضحية في سبيل الله وهم في ريعان الشباب ومقبل العمر، يضحون ليسموا الى مصاف الربين الذين كانوا مع الانبياء، فحاضوا المعارك، وتحملوا الصعاب، وزكوا أنفسهم، ومع ذلك رفعوا أكفهم بالدعاء لاستحصال المغفرة:

﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا﴾^(١).

فهم عرفوا أن لا قيمة للنفس المرخصة، التي تمثل قمة عطاء البشر، أمام عطاء الله، فاقتحموا ميادين الجهاد والعمل، واتخذوها محاريب وصوامع يتقربون منها وبها الى ربهم داعين إياه:

﴿وَتَبَيَّنَتْ أَقْدَامُنَا وَانْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾^(٢).

١ - سورة آل عمران، الآية ١٤٧.

٢ - سورة آل عمران، الآية ١٤٧.

العامل السادس: الوحدة وإخلاص الولاية لله

ثم يخاطب الله المؤمنين بقوله:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا اللَّهَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّكُمْ
عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ
النَّاصِرِينَ﴾^(١).

إننا إذا أزلنا الحواجز بيننا وبين الله، فكأننا أسقطناها بيننا
وبين اخوتنا المؤمنين، وأنثد نكون قد شكلنا حزب الله، ودخلنا
جميعاً في حصن الله، وتمسكنا بحبل الله، وظللت علينا ولاية الله
الوارفة.

- ولكن كيف يتم ذلك؟

انه يتم بتذويب جدران الجليد التي صنعها الشيطان بين
قلوب الفئات المؤمنة، وأن نحب لأخوتنا ما نحب لأنفسنا، ونكره
لهم ما نكره لها، وأن يكون فرحنا بتقدم الفئة الاخرى ليس باقل
من فرحنا بتقدمنا نحن، وأن يكون السعي موحّداً في اتجاه واحد،
أي تحت راية واحدة، هي راية الله ولواء الحمد الالهي.

إن الزحف نحو تحقيق الوحدة الاسلامية أمر في غاية

١ - سورة آل عمران، الآيتان ١٤٩-١٥٠.

الصعوبة، وعلى المسلمين أن يوطّدوا العزم لتحقيقه وإنّ
اعترضتهم ابتلاءات وصعوبات، حيث إنّ المشاكل والتحديات
ما هي إلا رحم تنمو فيها تجارب المؤمنين وتزكو اعمالهم.
إنّ سائر السبل الوعرة لا يمكن أن تكون حائلاً دون تجسيد
أهداف الدين الاسلامي النبيلة، لأننا باقتحامها واجتيازها نصل
الى الضفة الاخرى التي تكون قد اكتملت فيها عوامل الإنتصار
واقطفت الامة الاسلامية (بقيادتها وقاعدتها) فيها ثمار الحرية
والاستقلال.



٤- كيف نجعل من ساحة الجهاد محراباً للعبادة؟

كيف نحول ساحة الجهاد والعمل في سبيل الله الى محراب للعبادة، ومحراب العبادة الى منطلق للجهاد والعمل؟ وكيف ندمج العبادة بالسياسة، والسياسة بالعبادة؟ وكيف يمكننا - ونحن نُؤدي واجباتنا الرسالية اليومية - أن نحول الجهاد الى سُلمٍ نخرج عبره الى الله عزَّ وجل ونطوي به رحلة التزكية والتكامل النفسي؟

العمل الدؤوب دعامة الايمان

يعتقد بعض الناس أنَّ المؤمنين هم فقط مَنْ يستمدون الطاقة الروحية عبر العبادة في الليل ليبدلوها في النهار ويثوها فيمن حولهم.

ويتصورون بأنَّ المؤمنين تتعباً نفوسهم في الليل عبر الركوع والسجود وتفرغ هذه النفوس نهاراً عبر الجهاد والعمل إنطلاقاً

من عبادة الليل، وهذا فهمٌ ناقصٌ.

فلو شَبَّهنا المؤمن بمحرك السيارة فأنَّ هذا المحرك سيتوقف بعد حين لو لم يملك (جهاز مولّد الطاقة) الذي يعمل على تعبئة السيارة بالطاقة الكهربائية وبصورة ذاتية عبر التحرك المستمر. والعمل الصالح يمثل جهاز (مولّد الطاقة) عند الانسان، وهذا العمل هو الذي يعبئ الانسان بالطاقة التي تدفعه نحو العمل باستمرار ونشاط وايمان.

فالؤمن إن لم يحركه عمله الصالح وممارساته اليومية دعماً لايامانه وتزكية لنفسه وتطهيراً لذاته، لن تكفيه عبادة الليل ولا تستطيع هذه العبادة لوحدها تعبئته بالطاقة الايمانية المطلوبة.

فكيف اذاً نستطيع القيام بهذه المهمة الصعبة؟

وكيف نستطيع أن نجعل كل عملٍ من أعمالنا سُلماً، أو بتعبيرٍ قرآني: زُلْفى وقربةً ووسيلةً الى رضوان الله؟

وأن نكون في عروج دائم حتى يتحقق فينا قوله تعالى:

﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾^(١).

كيف نستطيع ان نفعل ذلك؟

١ - سورة الحجر، الآية ٩٩.

العمل الصالح رهين اهدافه السامية

لا بد للانسان أن يلقى مردود أفعاله الصالحة وحقيقة ما يفعله وما يعتقد به في حياته وداخل وجدانه، كأن يعتقد بأن الصلاة معراج المؤمن، و:

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(١)،

وأن هدف الصيام هو التقوى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٢).

ويؤمن بأن هدف الزكاة هو التزكية وتطهير القلب:

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾^(٣).

وهدف الجهاد هو تمحيص القلب وتمييز الصفوف:

﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾^(٤).

١ - سورة العنكبوت، الآية ٤٥.

٢ - سورة البقرة، الآية ١٨٣.

٣ - سورة التوبة، الآية ١٠٣.

٤ - سورة آل عمران، الآية ١٥٤.

وهدف العلم الهداية، فقد قال النبي ﷺ:

«مَنْ أَرَادَ عِلْمًا وَلَمْ يَزِدْ هُدًى لَمْ يَزِدْ مِنْ اللَّهِ إِلَّا بُعْدًا»^(١).

فنحن نعلم - إذا - أن لكل واجب من الواجبات هدفاً وغايةً محددة ينتهي إليها، فإن لم يجد أحدنا ذلك الهدف وتلك الغاية ولم يجد نفسه قد حقق ذلك الهدف فلا بد له من أن يشك في صحة عمله، والله عز وجل يقول:

﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾^(٢).

العروج الى الله غاية الاعمال الصالحة

فاذا صلينا ولم نبتعد عن الفحشاء والمنكر، وإذا دفعنا الزكاة ولم نتطهر، وإن صمنا ولم نَتَّقِ، وإن قمنا بجميع الأعمال الصالحة ولم نتدرج بها الى ربنا، فلا بد أن نشك في قبول أعمالنا!

فعندما تكون الصلاة قربان كل تقي، فلا بد أن تحس وتجد نور القُرب في نفسك بعد كل صلاة، وإلا فإنَّ صلاتك إما باطلة وإما غير مقبولة، فلا يُتقبل من صلاة المرء الا ما توجه بها قلبه إليها، يعني اذا صليت ثم انحرف فكرك عن الله والصراط المستقيم

١ - بحار الأنوار، ج ٢، ص ٣٧، ح ٥٠.

٢ - سورة المائدة، الآية ٣٧.

في أيّ وقتٍ من الاوقات فان ذلك الجزء من صلاتك غير مقبول، ويوم القيامة يأتي عملك بهيئة مخلوق ناقص ومشوّه، أما إذا قُبِلت صلاتك بأكملها فان نتيجة صلاتك هذه ستُقبل عليك بهيئة مخلوق جميل الوجه حسن الهيئة طيّب الريح.

الصالحات جُنة المؤمن

اذا كان الانسان مصلياً وتنطبق عليه وعلى صلاته الصفات التي ذكرتها الآيات والاحاديث:

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾^(١).

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(٢).

«الصَّلَاةُ قُرْبَانُ كُلِّ تَقِيٍّ»^(٣).

«حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثُ الطَّيِّبِ وَالنِّسَاءِ وَفُرَّةٌ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»^(٤).

فهذه الصلاة تأتي إلى هذا العبد المسكين الضعيف العاجز

١ - سورة المؤمنون، الآية ٢.

٢ - سورة العنكبوت، الآية ٤٥.

٣ - الكافي، ج ٣، ص ٢٦٥، ح ٦.

٤ - معدن الجواهر، ص ٣١.

وتعطيه المدد في قبره، وقد تحصنه من العذاب بسبب الأعمال السيئة.

أما إذا كانت صلاة هذا الانسان ضعيفة ومهزوزة فانه لن يقوى على مقاومة العذاب الذي سيحقيق به من جرّاء ارتكابه الذنوب، وسيكون ميزان هذا الفرد ضعيفاً خفيفاً:

﴿وَأَمَّا مَنْ حَقَّقَ مَوَازِينَهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾^(١).

إذاً علينا أن نتحسس حقيقة القرب والتقرب الى الله بواسطة الصلاة، بل وسائر الاعمال التي ينبغي أن نجد مصداقيتها في داخل نفوسنا.

فنحن حينما نريد أن نحول الحياة الى محراب وصومعة للعبادة، فاننا نعني بذلك تحويل أعمالنا الروتينية الى معراج لله.

ويجدر بنا أن نشعر بعد كل عمل نقوم به أننا اقتربنا الى الله ميلاً أو شبراً أو أنملة، وبمقدار تقربنا هذا سنشعر بوجداننا وضميرنا وأحاسيسنا.

بعض الناس يؤدون الكثير من الاعمال ويقومون بشتى انواع الصالحات زاعمين بانها تقرهم من الله، غافلين عن أنها

١ - سورة القارعة، الآيتان ٨-٩.

قد تزيدهم بعداً عنه جل وعلا، لوجود خللٍ ما في هذه الاعمال،
ومثل هؤلاء يجب أن نشك في سلامة منهجهم ونيتهم:
«إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»^(١).
﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾^(٢).

المراحل التكاملية للعمل الصالح

وللأعمال الصالحة مراحل لا بد أن يطويعها الإنسان لكي
تتکامل أعماله وتؤتي ثمارها ونتائجها المطلوبة:

أولاً: الاحاطة التامة بأبعاد العمل

يجب أن نعرف قبل القيام بأي عمل نُكَلِّف به، الهدف
الذي سنعمل من أجله، ومدى ارتباط هذا الهدف بالعمل، وما
هو الطريق الامثل لتحقيقه على الوجه المطلوب للحصول على
رضا الله سبحانه وتعالى. ثم بعد ذلك نباشر في العمل على الفور.

فمثلاً: قبل أن نصلي علينا أن نفكر فيما يلي:

في صحة الوضوء، واستقبال القبلة، وإباحة الثوب، وماء

١- الأماي [للطوسي]، ص ٦١٨، ح ١٠.

٢- سورة الأسراء، الآية ٨٤.

الوضوء، وموضع السجود، ومكان الصلاة، وطهارة كلٍّ منها، والاحاطة بأعمال الصلاة جميعها. فاذا تحققنا من كل ذلك شرعنا في الصلاة. وهكذا بقية الاعمال.

ثانياً: الاستقامة في اداء العمل

حينما يعمل الانسان في سبيل الله وينوي السير قدماً في طريق الحق، يراقبه الشيطان ويكمن له.

فاذا خطب في الناس، أو ألقى محاضرة، أو زار صديقاً له، وكان كل ذلك في الله فان الشيطان يحاول أن يغويه ويحرفه عن الهدف الذي رسمه لنفسه.

وحتى لو اتم الانسان عمله وانتهى منه دون انحراف أو خطأ فإن الشيطان يأتيه في النهاية ليبت في نفسه الإحساس بالعجب والغرور لأدائه هذا العمل.

ولنا في التاريخ شواهد كثيرة على سلوك الائمة عليهم السلام وخُلُقهم وكيفية تربيتهم لأصحابهم عند ادائهم لعملٍ ما.

فقد كانوا عليهم السلام لا يألون جهداً في تنبيه الآخرين على انحرافاتهم وتكرار الارشاد واسداء النصح اليهم.

ومن احد الامثلة التاريخية هو موقف الامام الرضا عليه السلام

ونصحه وتنبيهه لأحد أصحابه وهو (أحمد بن محمد بن أبي نصر البنزطي) الذي كان قد حل ضيفاً عليه، فشعر بالزهو والغرور من حسن تعامل الإمام عليه السلام معه. لنقرأ القصة من روايته:

يقول البنزطي: بعث إليّ الرضا عليه السلام بحمارٍ له، فجئت إلى صرياً^(١) فمكثت عامّة الليل معه، ثمّ أوتيت بعشاء، ثمّ قال: «افزُشوا له»، ثمّ أوتيت بوسادة طبريّة ومرادع وكساء قياصري، وملحفة مرويّ.

فلما أصبت من العشاء، قال لي: «مَا تُرِيدُ أَنْ تَنَامَ؟

قلت: بلى جُعِلْتُ فداك. فطرح عليّ الملحفة والكساء، ثمّ قال: «يَتَكَ اللَّهُ فِي عَافِيَةٍ».

وكنا على سطح، فلما نزل من عندي قلت في نفسي: قد نلتُ من هذا الرجل كرامةً ما نالها أحد قطّ، فإذا هاتفُ يهتف بي: يا أحمد! ولم أعرف الصوت، حتّى جاءني مولى له فقال: أجب مولاي.

فنزلت فإذا هو مقبل إليّ، فقال: كفّك! فناولته كفّي فعصرها، ثمّ قال:

١ - صرياً: قرية أسسها الإمام موسى بن جعفر عليه السلام على ثلاثة أميال من المدينة.
[مناقب آل أبي طالب، لابن شهر آشوب، ج ٤، ص ٣٨٢].

«إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَى صَعْصَعَةَ بَنَ صُوحَانَ عَائِدًا لَهُ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ مِنْ عِنْدِهِ قَالَ: يَا صَعْصَعَةَ بَنَ صُوحَانَ، لَا تَفْتَحْزِرْ بَعِيَادَتِي إِيَّاكَ، وَانْظُرْ لِنَفْسِكَ، فَكَأَنَّ الْأَمْرَ قَدْ وَصَلَ إِلَيْكَ، وَلَا يُلْهِمُكَ الْأَمَلُ، أَسْتَوْدِعُكَ اللَّهَ وَأَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ كَثِيرًا»^(١).

فتأدب الضيف وأتعظ وعرف بأن عليه أن لا يُصاب بالغرور والعجب.

هكذا كان يؤدب الائمة عليه السلام أصحابهم على مثل هذا الخلق الرفيع السامي.

ففي الفخر والرياء والعجب افساد للعمل.

فقد جاء في الحديث عن الإمام الرضا عليه السلام:

«اعْمَلُوا لِغَيْرِ رِيَاءٍ وَلَا سُمْعَةٍ، فَإِنَّهُ مَنْ عَمِلَ لِغَيْرِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى مَا عَمِلَ، وَيَحْكُ مَا عَمِلَ أَحَدٌ عَمَلًا إِلَّا رَدَّاهُ اللَّهُ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ»^(٢).

وجاء في وصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام:

«يَا عَلِيُّ! ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ: شُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابٌ

١ - قرب الإسناد، ص ٣٧٨.

٢ - الكافي، ج ٢، ص ٢٩٤.

الْمَرْءُ يَنْفُسِهِ»^(١).

إذاً علينا أن نخلص النية لله، وأن ننتبه ونتيقظ لئلا يسرقنا الشيطان ويسرق أعمالنا ويجيرها لمصالحه الشريرة.

ثالثاً: الصمود وتحدي الصعاب

عندما يؤدي الانسان المؤمن عملاً صالحاً فإن هذا العمل انما ينمّي فيه ايمانه ويقينه، ولكن تواجهه في سبيل ذلك عقبات ومشاكل عديدة قد تجربره على الانتكاس إن لم يصمد في وجهها ويتحداها. وهذه العقبات هي التي يخدعنا الشيطان بها ويغويننا عن طريقها.

فلا بد إذاً أن نحصّن أنفسنا ضد همزات الشيطان، ونعقد العزم ونستمر في العمل حتى النهاية دون ارتكاب أيّ خطأ أو إحداث أي خلل في هذا العمل مهما كلف الامر من تضحيات. فعلى الانسان الذي قال (لا اله الا الله) بوعي وصدق وايمان أن يدرك أن طريق التوحيد مليءً بالاشواك وألوان المشاق والصعوبات. فالبعض قد يستعد نفسياً لهذه الصعوبات والعقبات فيتوكل على الله سبحانه ويعقد العزم على تحملها والتغلب عليها.

١- وسائل الشيعة، ج ١، ص ١٠٣ (باب تحريم الإعجاب بالنفس)، ح ١٥.

أما البعض الآخر فإنه قد ينهار أمام التحديات منذ البداية.
والله يثبت الفئة الأولى بالايمان العظيم الذي لا تزعه
العواصف والزلازل، ولا تحرفه عن مسيره الصحيح سائر التيارات:
﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾^(١).

الحياة من منظارٍ عباديٍّ

عندما يذهب الرسالي الى معترك العمل الإصلاحي
والتغيير في المجتمع، ويدخل ساحة المواجهة، فإنه قد يشعر
بعد فترة بأن قوته ليست بمستوى قوة الاعداء، فعليه ألا يتقاعس
ويتوانى فتتكس عزيمة، وتخور قواه، وتداخله الهزيمة، وليعلم
انما الله معرضه لامتحانٍ صعبٍ وابتلاءٍ عسير، وهذا ما نستوحيه
من سياق الآيات الكرييات في سورة الأنفال:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُوَلُّوهُمْ
الْأَدْبَارَ * وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى
فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرَ * فَلَمْ
تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتُمْ إِذْ رَمَيْتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى
وَلِيُنَبِّئَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * ذَلِكَُمْ وَأَنَّ

١ - سورة إبراهيم، الآية ٢٧.

اللَّهُ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ * إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ^(١).

هذه الآيات من سورة الأنفال ينبغي أن تكون لنا هدىً وسراجاً للوصول إلى رؤية عبادية صحيحة، وبصيرة نافذة نظير عبورها إلى الحياة، فنحول أعمالنا اليومية، أعمالنا الثقافية والسياسية، والتوجيهية والتوعوية وما أشبهه، نحولها إلى عبادة خالصة لله سبحانه وتعالى.

وحتى الدراسة الأكاديمية وطلب العلم يجب أن تصب في قناة رضا الله، وأن نحولها إلى عبادة محضة لربنا (جلّ وعلا).

والحديث الشريف الذي يجعل مداد العلماء راجحاً على دماء الشهداء^(٢) يؤكد هذه الحقيقة، وهي أن العلم شأنه شأن بقية أمور الحياة التي يجب أن تُصهر جميعها في بوتقة العبادة للواحد الأحد.

١ - سورة الأنفال، الآيات ١٥-٢٠.

٢ - قال الإمام الصادق عليه السلام: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ جَمَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَوُضِعَتِ الْمَوَازِينُ، فَتُوزَنُ دِمَاءُ الشُّهَدَاءِ مَعَ مِدَادِ الْعُلَمَاءِ، فَيَرْجَحُ مِدَادُ الْعُلَمَاءِ عَلَى دِمَاءِ الشُّهَدَاءِ» [من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٣٩٨].

نحن مسؤولون

عندما يعرف الفرد المؤمن أنَّ أعماله جميعها يجب ان تُترجم الى عبادة محضة لله، يبقى عليه امرٌ هامٌ واخير وهو عدم تأجيل هذا العمل بأيِّ وجهٍ من الوجوه ولأَيِّ سببٍ من الاسباب، لأنَّ التأجيل يعني تجميد العمل، وبالتالي وأدُهُ قبل ان يخرج الى الحياة.

وكلام الرسول ﷺ يؤكد على هذه المسألة لأهميتها، فهو عندما يسأل حارثة بن مالك: «كَيْفَ أَنْتَ يَا حَارِثَةُ بْنُ مَالِكٍ؟» فيقول له حارثة: يا رسول الله، مؤمن حقاً. فيسأله النبي ﷺ: «لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةٌ فَمَا حَقِيقَةُ قَوْلِكَ؟»^(١).

وسؤال الرسول ﷺ هذا لحارثة هو سؤال مهم وأساسي

١ - الكافي، ج ٢، ص ٥٤. وتام الحديث كالتالي: عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ: «اسْتَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَارِثَةَ بْنَ مَالِكٍ بْنِ النُّعْمَانِ الْأَنْصَارِيَّ فَقَالَ لَهُ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حَارِثَةُ بْنُ مَالِكٍ؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مُؤْمِنٌ حَقًّا. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةٌ فَمَا حَقِيقَةُ قَوْلِكَ؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَزَفْتُ نَفْسِي عَنْ الدُّنْيَا، فَأَسْهَرْتُ لَيْلِي، وَأَظْمَأْتُ هَوَاجِرِي، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي [وَأُ] قَدْ وَضِعَ لِلْحِسَابِ، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِي الْجَنَّةِ، وَكَأَنِّي أَسْمَعُ عَوَاءَ أَهْلِ النَّارِ فِي النَّارِ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: عَبْدُ نَوَّرَ اللَّهُ قَلْبَهُ، أَبْصُرْتَ فَأَنْبُتَ. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ لِي أَنْ يَرْزُقَنِي الشَّهَادَةَ مَعَكَ. فَقَالَ: اللَّهُمَّ ارْزُقْ حَارِثَةَ الشَّهَادَةَ. فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا أَيَّامًا حَتَّى بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَرِيَّةً، فَبَعَثَهُ فِيهَا فَقَاتَلَ فَقُتِلَ تِسْعَةً أَوْ ثَمَانِيَةً ثُمَّ قُتِلَ».

يجب أن يطرحه كل فرد مؤمن ملتزم على نفسه، عليه أن يتساءل -
بعد أن يعتقد بولوج الايمان في قلبه - أين مصداق ايماني؟
وهل ترجمتُ هذا الايمان واليقين الى عمل وعبادة في سبيل
الله؟

وهل طبقته كسلوك عملي يتماشى مع الاوضاع الراهنة التي
تتطلب التحرك والانطلاق السريع والمتقن؟.

والجهاد من أجل إصلاح المجتمع وتغيير الفساد هو أحد
هذه الامور التي لا تقبل تأجيلاً أو تأخيراً، فلا يصح أن يقول
أحدنا بأنني سأعمل بعد سنة، أو بعد أن أقوم بالعمل الفلاني، أو
بعد أن اكمل دراستي، وغيرها من الأعذار التي تجعلنا ممن تشمله
الآية الكريمة:

﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾^(١).

إنّ الاعداء يخططون يومياً لتدمير بلاد المسلمين، وفي كل
يوم تتفتق قريحتهم عن اسلوب ماكر لتمزيق وحدة المسلمين
واستعمار بلادهم، فهم يطبقون الآن التمايز الطائفي في المنطقة
وبصورة صلفة ووقحة.

١ - سورة التوبة، الآية ٤٦.

فالاستعمار يخطط لمؤامرة كبرى من أجل فرض سيطرته في المنطقة، ويتبع شتى الأساليب ابتداءً من إفساد الشباب بواسطة وسائل الاعلام، ومروراً بالقواعد العسكرية والامنية في المنطقة، وانتهاءً بالمواجهة الصريحة ودعم وإسناد الإرهابيين والتكفيريين.

فما هو اذاً موقفنا حيال هذه المؤامرات كلها؟

إننا بالطبع مسؤولون عن كل ما يحدث ويحل بنا، نحن مسؤولون عن شبابنا وصحتنا وأموالنا ووقتنا. والله عز وجل سيسألنا عن كل ذلك ويستجوبنا يوم يقوم الاشهاد.

فنحن لم نأت الى الدنيا إلا من أجل ترويض انفسنا على عمل الخير وتربيتها وتزكيتها، ومن ثم الدخول في ساحة العمل وبشكل جدي من أجل إعلاء كلمة الله في الأرض.

٥- اهداف القتال في سبيل الله

﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾^(١).

من القضايا التي خفيت على كثير من المؤرخين أو مَنْ سواهم هي أنَّ الشعب العراقي منذ ان كتب تاريخه الحديث قبل حوالي (١٤٠٠) عام وحتى اليوم يُعتبر من الشعوب الاسلامية المكافحة والمقاتلة.

فقد اصبحت الحروب جزءاً من تاريخ هذا الشعب، وغدت الشجاعة والبطولة جزءاً لا يتجزأ من واقعه الحافل المير.

نظرة الى تاريخ العراق

تأسست (الكوفة) وهي حاضرة العراق في عهد الخليفة

١ - سورة التوبة، الآية ٢٧.

الثاني، وسُميت هذه المدينة بـ(كوفة الجند) اي معسكر الجند، حيث أُسست هذه المدينة على أساس انها معسكر (أو حسب تعبيرنا الحديث: قاعدة عسكرية). وفعلاً فقد تحولت فيما بعد الى قاعدة متقدمة للقوات الاسلامية الفاتحة التي كانت تنطلق عبر ايران أو الهند، اي باتجاه الشرق ومن سائر الجوانب.

ومن ثم وفي عهد الامام علي عليه السلام شهدت هذه المدينة ثلاثة حروب هائلة من حروب الاسلام ومن أجل تكريس الرسالة الالهية. فمن هذه المدينة بالذات انطلق المقاتلون بقيادة الامام علي عليه السلام الى البصرة ليحاربوا الناكثين في (حرب الجمل)، ومن هذه المدينة انطلقوا وبعد فترة زمنية قصيرة الى قتال معاوية ووقعت حينها اطول معركة بين المسلمين سميت معركة (صفين)، ومن الكوفة أيضاً انطلق المقاتلون لقتال الخوارج في (النهروان). فخلال خمس سنوات قاد أبناء الكوفة ثلاثة حروب اساسية بقيادة امير المؤمنين عليه السلام.

وبُعِيد استشهاد الامام علي عليه السلام قاد الامام الحسن المجتبي عليه السلام حملة واسعة إنتهت - بعد سجالات حادة - الى تنحي الامام الحسن عليه السلام عن السلطة السياسية الظاهرة.

وهكذا فقد تحولت الكوفة الى مركز للثورات المتلاحقة في عصر الامويين، وتكللت هذه الثورات بثورة مسلم بن عقيل

رسول الامام الحسين عليه السلام واشتركت هذه المدينة أيضاً بالتمرد على بني امية بعد عودة أهل البيت والعترة الطاهرة عليه السلام من كربلاء الى الكوفة، وذلك بعد ان شاركت وساهمت قواتها في القتال ضد الامام الحسين عليه السلام في معركة كربلاء. وكانت اول معركة ثورية في الكوفة ضد بني امية هي التي قادها عبد الله بن عفيف الازدي في مواجهة صارخة وشجاعة مع عبيد الله بن زياد^(١).

وبعد خمس سنوات قادت هذه المدينة معركة اخرى هي معركة (التوابين) بقيادة سليمان بن صرد عليه السلام، حيث قاوموا ابن زياد وجيشه في معركة (عين الوردية)^(٢) وبعدها كانت حركة المختار ابن عبيد الله الثقفي الواسعة^(٣)، وبعدها دخلت هذه المدينة معركة أخرى ضد الامويين وبقيادة الزبيريين^(٤).

وهكذا نجد ان هذه المدينة وهي مركز العراق كانت فيها معارك مستمرة ينقلها لنا تاريخ العراق القديم، أما تاريخ الحديث فانه يسجل لنا قيام الشعب العراقي بعدة حركات مناهضة

١- أنظر: بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ١٢١.

٢- أنظر: البداية والنهاية [لابن كثير]، ج ٨، ص ٢٧٦-٢٨٠. و: الكامل في التاريخ، [لابن الأثير]، ج ٤، ص ١٧٥-١٨٦.

٣- أنظر: الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٢١١-٢٧٨.

٤- أنظر: المصدر، ص ٢٦٧-٢٨١.

للسلطة التركية، حيث قاومت مدينة كربلاء السلطات التركية في معركة وقعت بينهما تُعرف بمعركة (احمد بك)، حيث بعثت فيها السلطات التركية جيشاً ضخماً ليحارب أهالي مدينة كربلاء، ف وقعت فيها حوادث جمة قاوم فيها الشعبُ الجيشَ التركي، وقاوم أيضاً الغزو البدوي الذي جاء لغزو كربلاء واقتتل معه.

وبعد مرور فترةٍ أخرى قامت كربلاء وسائر مدن العراق وخاصة النجف الاشرف بحركة ضد الاستعمار البريطاني، وذلك في معركة طويلة هائلة وشاملة لكل أبناء الشعب العراقي وبقيادة العلماء الافاضل عليه السلام في عام ١٩٢٠ م.

سُميت هذه المعركة بـ(ثورة العشرين) التي اشترك بعدها شعب العراق وحتى الآن في ثلاث حروب في فلسطين (٤٨- ٦٧-٧٣)، بالاضافة الى ما كان في شمال العراق من معارك مستمرة.

اذاً فشعب العراق شعب مقاتل، ولكن المعارك التي قادها بعد ثورة العشرين لم تكن الا معارك باطلة، أو كانت معارك حقّة (كالتّي كانت ضد الكيان الصهيوني المحتل) ولكنها تمت ووقعت تحت اشراف قيادات خائنة.

فالعراقيون اشتركوا في ثلاث معارك ضد الكيان الغاصب

لفلسطين ولكن قياداتهم كانت خائنة. وكذلك اشتركوا في حرب الشمال من أجل غرس روح القومية العربية المنتنة في النفوس، وما القومية العربية إلا تفرقة للمسلمين وارض خصبة لزرع بذور الشقاق والخلاف فيما بينهم.

ومن ثم جاء الطاغية صدام الى سدة الحكم وعَبَّأ طاقات الشعب ضد الجمهورية الاسلامية وهي الدولة الجارة الشقيقة. وهذه هي قمة المأساة ان يُعَبَّأ هذا الشعب المقاتل المناضل المسلم لمحاربة جيرانه المسلمين بعد أن سيطر صدام وزبانيته العملاء الخونة على مقدراته.

في التاريخ عبرة

هنا ينبغي أن ندرس عِبَر التاريخ، ومن لم يدرسها فانه سيتورط ويقع في نفس المشاكل التي تورط فيها الاولون، وسيجرب تجاربهم الفاشلة مرة بعد اخرى.

إنَّ التجارب تبيِّن لنا أنَّ القتال والحرب ليس هدفاً قائماً بذاته، فالحرب إنما تكون مقدسة إذا كانت قائمة من أجل أهداف مقدسة.

فالحرركات الاسلامية والقيادات الدينية حينما أرادت السلم،
أرادت الأمن والراحة معاً، وعند ذلك جاء العدو واستغل طاقات
الشعب ضد الاسلام.

ينبغي الآن أن نعيد بناء الشعب العراقي الرسالي الذي بات
النضال دفاعاً عن الحق جزءاً لا يتجزأ من تاريخه وواقعه، على أن
يكون النضال بحسب ما رسمه الله لنا وضمن إطاره كما في الآية
الكريمة:

﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾^(١).

فالقتال يجب أن يكون لأجل الايمان بالله واليوم الآخر:

﴿وَلَا يُحْرِمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ
الْحَقِّ﴾^(٢).

إذاً فلا أحد يريد القتال للقتال.

﴿وَلَوْ لَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدِمَتْ صَوَامِعُ
وَبِيْعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيْرًا﴾^(٣).

فنحن إن لم نتحمل مسؤولياتنا، وإن لم يتحول الشعب

١- سورة التوبة، الآية ٢٧.

٢- سورة التوبة، الآية ٢٩.

٣- سورة الحج، الآية ٤٠.

العراقي الى شعب مناضل من أجل الله والقيم، إذاً فلن تجري عملية تغييرية كبيرة في هذا الشعب، وهذا يعني تمام المأساة ليس بالنسبة للعراق فقط بل بالنسبة الى كل المنطقة.

إنَّ الاستعمار وعملاءه يجهدون في سبيل إفسادنا وإفساد مجتمعاتنا بكل الوسائل، وهم يحكمون بقوة النار والحديد، فلا بد إذاً من مقاومة جادة لنكون بمستوى التحدي والعدوان الجائر علينا.

لا بد من جيل رسالي

إذاً لكي نقاوم المتطفلين على ديننا ودمائنا علينا أن نحول شعبنا كله - من شيوخه الى اطفاله ورجاله ونسائه - الى شعب رسالي مقاوم.

إنَّ المرأة التي ينحصر تفكيرها في أحلامها المادية وطرق إشباعها لا يمكن بأي شكل أن نطلق عليها مصطلح (المرأة الرسالية)، بل هذه تمثل قمة الجبن والضعف والتراجع.

فمتى ما أصبحت نساؤنا ورجالنا وشعبنا كله رسالياً مثابراً، عندئذ سنكون شعباً يرتضيه الله، ومن ثم نستطيع أن نقول بأننا مسلمون ومن اتباع الرسول والائمة عليهم السلام ملء اشدقنا.

علينا ان نعود وننظر الى تاريخ الرسول والأئمة وسيرتهم ونحذو حذوهم، فنربي اطفالنا منذ نعومة اظفارهم على حب العمل والعطاء والبناء والتغيير، فننمي طاقاتهم وندرهم على ذلك.

التواكل مرضٌ خطير

إنَّ بعض الشباب اليوم يفكرون في أنَّ الآخرين يجب أن يتحملوا مسؤولية البناء والتغيير ومقاومة الفساد والانحراف والضلال، أما هم فلا يقع على عاتقهم شيء.

إنَّ هذا النوع من التفكير غير منطقي وغير صحيح، ولم يحدث وأنَّ نقل التاريخ بأنَّ هناك شعباً ظل قاعداً عن تحمل مسؤوليةياته ثم تحقق له النصر والتقدم، وقدمه له الآخرون على طبق من ذهب!

حتى قوم موسى حينما طلبوا من نبيِّهم أن يذهب ويقاتل عنهم لم يفعل، فنزل حينها غضب الله عليهم وسخطه وانتقم لمقولاتهم وتفكيرهم ذاك شر انتقام.

فحينما تتحرك أنت، ويتحرك الرجل والمرأة، ويتحرك العالم الحوزوي والجامعي، وحينما تتحرك الاقلام الإعلامية،

وحينما تنتفض الحركات الاسلامية.. حينما يتحرك الجميع، فان الله سبحانه وتعالى سيضع يده مع الناس وينصرهم حسب وعده القاطع بذلك، فلتتحرك ونتقدم باخلاص، فالغد المشرق بانتظارنا إن شاء الله تعالى.



ماذا بعد الشهادة؟

- ١- الجهاد الاكبر
- ٢- متى يموت الشهيد
- ٣- الشهادة حياة خالدة
- ٤- كيف تنشأ الديكتاتوريات؟
- ٥- ركائز الانظمة الطاغوتية
- ٦- نحو شاطئ الأمان



١- الجهاد الاكبر

إنَّ الآيات القرآنية تؤكد دوماً وأبداً على كلمةٍ لو تدبرنا وتعمقنا فيها لأدركنا المعنى الحقيقي لكثير من الآيات، ولعرفنا السر الكامن وراء الانتصار الذي يحققه المؤمنون الصادقون في الحياة الدنيا.

تلك الكلمة هي كلمة (الجهاد) التي تتجلى أروع مظاهرها في المواجهة العسكرية التي تتم بين جبهتي الحق والباطل.

بيد إنَّ هذا المظهر ليس المظهر الوحيد للجهاد، فلقد شهدت البشرية صراعات كثيرة كان أولها الصراع بين قابيل وهابيل، واستمرت الصراعات هكذا عبر التاريخ، إلَّا أنها لم تكن جميعها صراعات من أجل الحق والعدالة، فكثيرٌ منها قام على أساس جيفة الدنيا وزخرفها الزائل، وكثيرٌ من الدماء أريقَت من أجل إضافة قطعة أرض الى حدود دولةٍ ما، أو اقتطاع قطعة أرضٍ من جسد دولةٍ أخرى، أو من أجل إشباع شهوة الطغيان عند البشر على مر

العصور.

إذن فإنَّ بعض الحروب والصراعات لا تكتسب الشرعية الحقيقية، ولا نستطيع أنْ نمجِّدها، لأننا لا نعرف النوايا التي بعثت على اندلاعها، ولا نعرف إن كانت تمثل الاطراف المتنازعة فيما بينها حقاً وباطلاً أم لا.

الجهاد العسكري اختبارٌ عسير

إنَّ اللقاء بين جبهتي الحق والباطل على صعيد بعض المواجهات العسكرية ما هو إلَّا واحد من أبرز مظاهر الجهاد، ولكنه لا يمثل أعظمها ولا أهمها وأولاها عند الله سبحانه وتعالى. فالجهاد العسكري هو أبرز الطرق لمعرفة مدى الصعوبات التي يلاقيها ويكابدها الانسان وهو يدخل حرباً حقيقية.

فالمجاهد الذي يحارب في جبهة الحق نجده يتسرَّ في خندقه لعدة أشهر مرابضاً، وقد تنهار قواه الجسمية وتتمزق نفسه ويمسي مفضلاً الموت على تلك الحالة، ومن ثم قد يدخل ساحة المعركة المحتدمة، وحينها فيما أن تزهق نفسه وهي أعز ما يمتلك، وإما أن يفقد عضواً من أعضائه فيبقى طوال حياته معوقاً.

إنَّ هذا هو مظهر بارز من مظاهر الجهاد يطلعنا على مدى الصعوبة والمشقة التي يسببها الجهاد العسكري، وما يحتاجه من إرادة وعزم داخلي لدفع النفس تجاه ساحة المعركة.

الجهاد الاكبر اعظم

ولكن يبقى هناك جهاد اعظم واولى عند الله من الجهاد العسكري. هذا الجهاد هو الذي اشار اليه الرسول ﷺ عندما رأى الجيش الاسلامي قادماً مظفراً من مهمته، حيث يروي الامام الصادق عليه السلام:

«أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ بِسَرِيَّةٍ، فَلَمَّا رَجَعُوا قَالَ: (مَرْحَباً بِقَوْمٍ قَضَوْا الْجِهَادَ الْأَصْغَرَ وَبَقِيَ الْجِهَادُ الْأَكْبَرُ). قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْجِهَادُ الْأَكْبَرُ؟ قَالَ: (جِهَادُ النَّفْسِ)»^(١).

إنَّ معرفة (الجهاد الاكبر) والاحاطة بدقائقه تتم عبر قياسه الى الجهاد الاصغر.

فلو علمنا أنَّ الجهاد الاصغر يتمثل في الحرب وما فيها من دمار وويلات ومآسٍ وصعاب، فكيف اذاً سيكون الجهاد الاكبر؟ وما الذي يحتاجه ويتطلبه كي يتحقق؟.

١- الكافي، ج ٥، ص ١٢، ح ٣.

إنَّ في توسعة رقعة الكلمة المحدودة في الجهاد الجسدي والصراع المادي الى سائر جوانب الحياة، مدخل لفهم الاسلام والحياة بل وسر النجاح والفلاح في الدنيا، وعن طريق هذا التوسع نستطيع أن نصل أيضاً الى طريق الجهاد الاكبر، الذي يشمل سائر مرافق الحياة وجوانبها.

الجهاد في طلب العلم

ففي مجال العلم - مثلاً - هنالك سبل يمكننا سلوكها لتكون الدراسة والعمل العلمي جهاداً في سبيل الله.

وعلى العكس من ذلك فهنالك سبل اخرى للعلم لا يمكن أن تجر طالبيها سوى الى الخطّ المخالف للجهاد.

فليس كل طالب علمٍ بمجاهد، حيث هنالك من يسهر الليالي ويخوض غمار المشاكل ويتحمل الغربة والفقر وشتّى الصعاب من أجل الحصول على العلم، ولكنه يقوم بكل ذلك ويتجاوزه ليس لله، وانما لمصلحة دنيوية بحتة، فلا يمكننا أن نطلق على عمل هذا الفرد جهاداً.

وهناك من يتعلم ويدرس لأجل الله ولكن بكسل وتوانٍ وتقصير وتسويف، فهذا التعلم لا يمكن ان نسميه جهاداً أيضاً.

ونجد أيضاً من الناس - ولكن القليل منهم - من يسهر ليتعلم الله بل ويقضي عمره يتعلم الله ويأخذ مما يتلقاه من العلم ما ينفع الناس ويخدم البشرية وحسب.

فاذا ما درس الفقه أكد على باب الجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وباب القضاء والحدود والقصاص والسياسة، ذلك لأن كل هذه العلوم والابواب تحتاج الى الصراع والتحدي، لانها علوم جهادية.

اما اذا توجه الى علم الهندسة الكهربائية - مثلاً - أو المعمارية أو الطب فانه يفكر في كيفية خدمة المجتمع واسداء المعونة للناس. إن إنساناً كهذا نادر الوجود في الحياة ولذا جاء في الحديث الشريف:

«مَنْ تَعَلَّمَ لِلَّهِ، وَعَمِلَ لِلَّهِ، وَعَلَّمَ لِلَّهِ، دُعِيَ فِي مَلَكَوَتِ السَّمَاوَاتِ عَظِيمًا»^(١).

أما العلم الذي يستخدمه الانسان بشتى وجوهه ولكن في خدمة الطاغوت فلا خير فيه، لانه وُجد لأجل سحق المستضعفين وتضييع حقوقهم المشروعة.

١ - الأمالي [للطوسي]، ص ١٦٧، ح ٣٢.

أقصى الجهد في سبيل الله

إنَّ من الواجبات المحتممة على الفرد المؤمن الواعي هو تسخير جميع طاقاته لأجل الله وخدمته والجهاد في سبيله.

فعليه أن يحتفظ بكل ما في جسده من سعرات وطاقات لأجل بذلها واستخدامها في سبيل الله. فلا يحق لأيِّ منَّا وبأي شكل إستنزاف جهودنا من أجل لا شيء. فكثير من الناس يعمل ويكد في الحر والبرد، في البحر والبر، ولكن الدافع الذي ينطلق الى العمل من أجله ليس رضا الله وانما لأجل الحصول على عيش مرفَّه، وعربة مريحة، وحياة آمنة.

إنَّ كل ذلك لا يمكن أن يكون جهاداً، لأنَّ العامل في سبيل الله إنما يستنزف طاقاته ويبدل كل ما في وسعه لأجل ربه، وينام بعد ذلك مرتاحاً مطمئن البال.

وعلى نقيض ذلك تماماً نجد الكثير من المسلمين حينما يؤمرون بالجهاد، فانهم ينطلقون اليه إذا كانت لهم فيه منافع ومصالح تعود عليهم بالفائدة، فهذا هو دأبهم حتى لو عادوا من القتال، فنجدهم يعملون ويسعون من أجل مصالحهم الدنيوية الزائلة ويلتمسون شتَّى السبل بهدف الحصول على حطام الدنيا.

وحينما يؤمر هؤلاء بالقيام بنوع من الجهاد أو العمل أو الخدمة الإسلامية التي فيها شيء من المخاطرة والتعب، فإننا نجدهم يرفضون، ذلك لأنهم لا يريدون بذل أدنى طاقة وجهد في سبيل الله.

هؤلاء قد يؤدون الجهاد الأصغر ما دام يكفل لهم المغنم والاموال، ولكنهم لم يلجوا باب (الجهاد الأكبر) الذي يعتبر مسؤوليتهم العظمى والأهم التي تبقى على عاتقهم دوماً.

التأهب في السلم جهادٌ أكبر

والجهاد الأكبر هو النزول إلى الساحة في أيام السلم كما في أيام الحرب.

فإن ديننا وإيماننا يأمراننا بأن نجاهد حتى لو كان جميع الناس قاعدين.

إنَّ تسخير الطاقة الجسدية وإعدادها لأجل نيل رضا الله عن طريق الجهاد والمثابرة والعمل هو أمر ضروري على كل مؤمن مهما كان عمله ومكانته التي يشغلها.

فالكاتب الذي يسخر قلمه ويسهر الليالي من أجل خدمة

عامّة المسلمين، هذا الكاتب يسجّل في قائمة المجاهدين أيضاً.
فنحن يمكننا أن نجاهد في البيت، والمدرسة، والشركة،
والدائرة، والمعمل الخ.. فمتى ما جاهدنا وتحركنا ونحن نشغل
هذه المرافق الحيوية، فنحن مسلمون ملتزمون حقاً.

الجهاد مطلوب دوماً

القرآن الكريم يذكر لنا الجهاد بالمال قبل النفس:

﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾^(١).

الامر الذي يدل على أن الجهاد بالنفس قد يكون في اوقات
المعركة والمواجهة فقط، أما في اوقات السلم فإن المطلوب أن يجاهد
المرء بكل ما يمتلكه من طاقات - ومنها المال - في سبيل الله.

فالتاجر الغني يستطيع أن يجاهد بماله، بأن يتبرع بمقدار
من المال لطبع ونشر الكتب التي تعمل على نشر المعرفة السليمة
والوعي بين الناس، وهو يستطيع أن يجاهد بماله بصرفه على الطلبة
الدارسين في المجالات العلمية المختلفة من أجل رفع مستوى
المسلمين ونشر التقدم والرفاه بين الناس.

١ - سورة التوبة، الآية ٤١.

إذاً فالجهاد ليس مقتصرًا على أيام الحروب والمواجهات العسكرية، بل يجب أن يكون منذ أيام السلم كما تؤكد لك الآية الكريمة:

﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾^(١).

فالذي يريد أن يجاهد عليه أن يجاهد في أيام السلم كما في أيام الحرب، فذلك هو (الجهاد الأكبر) الذي يمتد طول الحياة.

١ - سورة التوبة، الآية ٤٦.



٢- متى يموت الشهيد

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾^(١).

الوجود بين الهدف والالهدف

كل انسان على وجه البسيطة يحيا ويعيش لأجل هدف معين.
فهناك من يعيش من أجل التمتع بزهرة الحياة الدنيا وفتنتها
وزخرفها وملذاتها، فلا يصيب منها سوى ما يسدُّ رغباته وشهواته
واحياجاته الجسدية، كالأكل والشرب شأنه شأن الانعام:
﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾^(٢).

وشخص كهذا قد يكون اقصى ما يهدف اليه هو حياة
مادية مستقرة آمنة، ومصدر مضمون للرزق، ومكانة مرموقة في

١- سورة الأحزاب، الآية ٢٣.

٢- سورة الفرقان، الآية ٤٤.

المجتمع، ولا يرمي الى اكثر من هذا الهدف ولا أسمى منه. أو قد يهدف الى السيطرة على العالم إرضاءً لذاته وتحقيقاً لمصالحه، وذلك عن طريق الفساد والطغيان، وانتهاج سيرة السفك والدمار والقتل بين العباد.

ومن الناس من يعيش لأهدافٍ سامية ورفيعة، كأن يهدف تحرير وطنه، أو إصلاح المفاسد في مجتمعه، أو يسعى لأجل تحقيق قضية معينة من القضايا المشروعة الاخرى في العالم.

الانسان بين الموت والخلود

إنَّ القسم الاول من الناس إنما يعيشون من أجل أنفسهم وذواتهم وأجسادهم البالية. وهؤلاء متى ما ماتوا انتهوا، فلا يبقى لهم ذكر خالد عطر.

فهم كانوا يتحركون ويندفعون لأجل تحقيق راحة أجسادهم، فاذا ما مات وانتهى ذلك الجسد، ماتت وانتهت معه اهدافه، وبالتالي فان حياة هؤلاء تنتهي بمجرد انتهاء وجودهم المادي في هذه الدنيا.

أما الذين يعيشون من أجل قضية ومن أجل أهداف نبيلة في هذه الدنيا، فإنَّ حياتهم لا تنتهي عند موتهم وتفسخ أجسامهم، بل

تنتهي حينما تموت قضيتهم وهدفهم الذي كانوا يسعون من أجله.

الحسين خلودٌ دائم

فالامام الحسين عليه السلام الذي عاش من أجل دينه وعقيدته واستشهد من أجلها أيضاً، لم يمت أو ينته في عاشوراء بل بقي ذكره خالداً حتى يومنا هذا.

لماذا؟

لان الامام الحسين عليه السلام لم يكن ليهدف من وراء صلاته وصيامه وتحركه ونهضته وسفره وجهاده، بل ومن جميع حياته، لم يكن ليهدف من وراء كل ذلك تحقيق راحة جسده، وضمان مصالحه واهدافه الذاتية الخاصة.

وفي سيرته عليه السلام أدلة كثيرة جداً على أن نهضة الامام الشهيد لم تكن من أجل منصب وجاه وشهرة، بل كانت نهضة اصلاح وتصحيح للقيم، وكانت كل حياته وسيرته من أجل إنقاذ الإنسان تقرباً إلى الله تعالى.

ومن ذلك تقول الروايات التاريخية أنه وُجد على ظهر الإمام الحسين عليه السلام في يوم الطف أثر، فسألوا زين العابدين عليه السلام عن ذلك،

فقال:

«هَذَا مِمَّا كَانَ يَنْقُلُ الْجِرَابَ عَلَى ظَهْرِهِ إِلَى مَنْزِلِ الْأَرَامِلِ
وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ»^(١).

كان الإمام عليه السلام ينقل المساعدات الى الفقراء والأيتام
والمساكين شخصياً على الرغم من استطاعته إرسال ذلك مع أحد
أصحابه أو أولاده.

فالحسين عليه السلام لم يعيش من أجل نفسه قط، لم يكن لينام الليل أو
يرتاح في النهار، بل كان في حركة دائبة وثورة مستمرة، ولذا فهو
حينما قُتل بقي واستمر، ذلك لأنَّ قضيته وأهدافه باقية.

فهو عليه السلام عاش من أجل هدفٍ سامٍ، وكذا جميع الشهداء
في التاريخ، إنهم لم يموتوا، بل خُلدَ ذكْرهم، لأنهم طَوا مسيرة
حياتهم من أجل جميع المسلمين وقضاياهم المصيرية، وليس لأجل
هذا الجسد البالي، فلقد عاشوا لأجل أمور خارجة عن نطاق
أجسادهم وذواتهم.

إنَّ هؤلاء حينما يموتون أو يُقتلون فإن حياتهم وقضيتهم
تستمر في أولئك الذين يحملون تلك القضية من ورثتهم، والذين

١ - بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ١٩٠، ح ٣. نقلاً عن: مناقب آل أبي طالب [ابن شهر
آشوب] ج ٣، ص ٢٢٢.

يستمرّون على درّهم ويتحرّكون من أجل تلك القضية التي
استشهدوا من أجلها.

ولكن متى يموت الشهيد؟

إنه يموت عندما لا يبقى أحد يحمل القضية من بعده، عند
ذلك يموت الشهيد.

فهو إذاً لا يموت ساعة استشهاده، بل حينما لا تستمر
قضيته، ولا يثبت الشعب كله في حملها واحتضانها.

ففي العراق مثلاً استشهد الصدر رحمه الله ولكنه لم يمت
ويتهيء، ذلك لأنه كانت في الشعب العراقي مجموعات كثيرة
تحمّل قضيته وتستمر على نهجه في مقارعة الطاغوت، وما دامت
هذه المجموعات تحمل مشعل التغيير الرسالي فإن الصدر وسائر
الشهداء لا ولن يموتوا.

أما إذا ترك الشعب قضية الشهيد الصدر، وسائر الشهداء
الأبرار في العراق، وسكتوا عنها ونسوها، فإن ذلك سيكون بمثابة
الحكم بالإعدام المجدد على شهدائنا.

والقرآن يذكرنا بحقيقة هؤلاء الشهداء، وبقدسية دمائهم
المهراقة في سبيل الله، والوفاء بالعهد الذي قطعوه على انفسهم:

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾^(١).

فهؤلاء الرجال ما قطعوا شوطهم في الحياة من أجل
انفسهم، وإنما لعهودٍ ومواثيق أبرموها مع ربهم جلّ وعلا.

ومن أبرز المصاديق على هذه الآية شهادة الامام علي عليه السلام،
الذي صدق ما عاهد الله عليه بعد أن تحرّك عبر الخطط والمناهج
التي رسمها الله له.

إنَّ الشهداء يشكّلون فئة واحدة ووحدة موحدة لا فرق
بينها، فحمزة بن عبد المطلب، وجعفر بن ابي طالب كلّ منهما
يحتل مكاناً في هذه الآية، وكذا الامام علي والحسن والحسين عليه السلام
وهكذا... حيث إنّ كلّاً منهم أتى ليملاً الفراغ الذي تركه مَنْ
سبقه بالشهادة.

وهؤلاء الشهداء وكلُّ الشهداء في التاريخ هم نورٌ واحد،
وهذا يعني أنّ المشعل لا يزال وهّاجاً ومرفوعاً، والقضية لا تزال
ساخنة:

﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا
تَبْدِيلًا﴾^(٢).

١ - سورة الأحزاب، الآية ٢٣.

٢ - سورة الأحزاب، الآية ٢٣.

مفاهيم خاطئة

قد نتمنى في بعض الأحيان لو كان الشهداء أحياء، ونتصور أنهم بوجودهم كانوا سيخدمون الاسلام ويرفدون القضية والعمل الرسالي أكثر.

وهذا التفكير ينطلق من منظارنا الضيق وعقلنا القاصر، وهو تفكير مرفوض حسب الآية الكريمة: ﴿وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾. يعني ان الشهادة كانت قضاؤهم وقدرهم، فلقد قدر الله أن يستشهد فلان وأن يبقى آخر من بعده ليحمل قضيته.

علينا ألا نفكر فيمن مضى، بل نفكر في ضرورة أن يحيا كلُّ منا حياة الشهداء ومسيرتهم، ومهما طويلا درهم وتحررنا تحررهم نكون قد أحيينا قضيتهم وكذلك أحيينا ذكرهم. وعندما نعمل من أجل قضاياهم المقدسة فكأننا نراهم أحياء بيننا.

فنحن لو ملأنا اليوم مكان الشهداء، وتحملنا مسؤولياتنا في العمل التغيير، فإننا سنكون سائرين على طريقهم وسنكون ممثلين لهم ومحيين لشخصيتهم.

وهذه هي وظيفتنا الاساسية التي تستجد كلما سقط شهيد.

وهذه هي إحدى المعاني الأساسية التي يتضمنها قوله سبحانه وتعالى:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرزَقُونَ﴾^(١).

فحينما يذهب الشهيد يأتي بعده جيل آخر يحمل القضية ويتحرك نحوها، وهو بذلك لن يُحسب ميتاً أبداً، إذن:

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾^(٢).

فلو أردنا أن نتحرك ضمن ذلك النهج الذي تحرك فيه الشهداء، ونصدق مع الله على ما عاهدناه، ونكون أوفياء لدماء الشهداء الزكية التي أريقَت في سبيل الله، علينا أن نكون صادقين مع الله كل الصدق.

الوفاء بالعهد

قبل أن يخرج الإنسان إلى الحياة الدنيا يأخذ الله عليه المواثيق في عالم الذر، حيث يعاهد الإنسان ربه حينها بأن يطيعه وألاَّ يحيد

١- سورة آل عمران، الآية ١٦٩.

٢- سورة الأحزاب، الآية ٢٣.

عن منهجه قيد شعرة:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾^(١).

فالإنسان قبل أن يأتي للحياة تكون له موثيق وعهود مع ربه، والمؤمنون هم الذين يوفون بها ويصدقونها، وأما المنافقون والكافرون والفاسقون فلا يثبتون على العهد ولا يصدقون الله ما وعدوه، وهؤلاء يقول فيهم الله:

﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾^(٢).

نحن قبل الولادة - أي في عالم الذر - تعاهدنا مع الله بأن:
أ: نكون صادقين معه في هذه الحياة.

ب: نطبق كلام الرب في ذاتنا ومجتمعنا بعد أن أسلمنا له قيادنا وأعلننا إسلامنا هذا.

ج: نطبق رسالة الله في الأرض عبر مجموعات معينة تتحرك وفق المنهاج الذي رسمه الله لنا عبر رسله ورسالاته وأوليائه.
إنَّ علينا اليوم أن نكون المصدق الحي لهذه العهود: (عهد

١ - سورة الأعراف، الآية ١٧٢.

٢ - سورة البقرة، الآية ٢٧. سورة الرعد، الآية ٢٥.

الاسلام والطاعة الذي أقررنا به في عالم الذر، وعهد الإلتزام بمنهج الرسالات الإلهية في الحياة)، ويجب أن تكون أعمالنا كلها متناسقة مع هذه العهود.

المؤمنون والتذكير

وقد يتعرض كل واحد منا لضغوطٍ في حياته تحول بينه وبين تحقيق هدفه السامي. وما علينا سوى أن نتحرر من هذه الضغوط عبر التذكير والتذكر:

﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١).

علينا أن نذكر أنفسنا بأن لنا مع الله عهداً وموثقاً يجب الوفاء به مهما كلف الثمن، فوظيفة كل فرد أن يتذكر عهوده مع الله عندما يتعرض للضغوط والهزات ولحبال الشيطان.

عليه ألا يفكر بشيء سوى ما يرضي الله. كما أن الشهيد لم يكن يفكر بسوى قضيته، ولتذكر جميعاً الشهداء الذين ذهبوا الى ربهم وحملونا قضيتهم وثأرهم ومسؤوليتهم وأمانتهم.

إنَّ منتهى ما يصبو اليه الانسان المؤمن ويتطلع اليه هو أن

١ - سورة الذاريات، الآية ٥٥.

يكون صادقاً مع الله، وأميناً لا يخون ربه ولا يخون أمانته.
والشهداء وقضيتهم ودمائهم أمانة في أعناقنا، علينا أن
نحملها بصدق ونؤديها الى صاحبها بعفة وأمانة، لا ننقص منها
شيئاً.

فنحن نستطيع أن نكون ممن قال فيهم سبحانه وتعالى:
﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ
مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾^(١)،

وذلك متى ما تمثلنا بالآية واصبحنا مصداقاً واضحاً لها.
علينا ألا نفقد الثقة في أنفسنا أو نقلل من شأنها ونتعلل
بأسباب واهية، فنقول باننا لا نستطيع تطبيق الآية على أنفسنا،
واننا لا نستحق هذا الرمز، أو أن الآية نزلت في الشهداء الذين
كانوا مع النبي يوم (بدرٍ وحنين).

إننا إذا طبقنا هذه الآية وصدقنا مع الله، وطبقنا عهوده
ومواثيقه، فاننا سنكون مثلهم وسيرفعنا الله الى مستواهم ويوفقنا
لنكون ممن يحمل رسالة الشهداء.

١ - سورة الأحزاب، الآية ٣٣.



٣- الشهادة حياة خالدة

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ * الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ * الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾^(١).

الدم رمز المقاومة

لقد تقمّصت الشعوب المسلمة في العالم الاسلامي، ومنذ عهد ليس بالقصير، ثوب الشهادة القاني لتنازل أعداءها بسلاح

١ - سورة آل عمران، الآيات ١٦٩ - ١٧٣.

التحدي.

فتحدّت المؤامرات الكبرى التي حيكت ضدها، والتي
اشتركت فيها قوى الشر والفساد والنفاق العالمية. تحدت كل ذلك
بالتوكل على الله وحده، وعلى ما تحمله من سلاح الايمان والعقيدة
الاصيلة.

ذلك لأنّ الشعوب المسلمة عازمت على أن تتنصر للحق
المضيعّ مهما كلفها من ثمن. وكان الشعب العراقي المسلم هو أحد
هذه الشعوب النازفة في سبيل الوصول الى فجر الحرية المشرق.
فلقد تساقطت في العراق النفوس الزكية الطاهرة الأبية
المستشهدة على أرضه، أرض الرافدين، لتتصل دماؤها بروافد
دماء الشهداء السابقين، بدم الامام علي عليه السلام المراق في محراب
العبادة، وبدم ابي عبد الله الحسين عليه السلام السبط الذي اهريق واستبيح
دمه على ارض كربلاء المقدسة، ليتحول مشعلاً وليصبح مزاره
وضريحه الشريف رمزاً لمقاومة الظالمين.

لقد اتصل دم أبناء العراق - وسائر بلاد المسلمين - بدم
الطاهرين الذين لم يخلّ منهم عصر من العصور في هذه الارض
التي شهدت بطولات وملاحم غزيرة عبر التاريخ، فاصبحوا في
قمة الانسانية والمجد، وأصبحت شهادتهم متوجة لقمة الاعمال

الصالحه في الدنيا.

كما يذكر ويؤكد ذلك الحديث الشريف:

«فَوْقَ كُلِّ ذِي بَرٍّ بَرٌّ حَتَّى يُقْتَلَ الرَّجُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَإِذَا قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَيْسَ فَوْقَهُ بَرٌّ»^(١).

عندما ينتصر الدم على السيف

حينما تتصاعد المؤامرة على الشعب المضطهد، وحينما تضعف قوة الشعب في مقاومتها، فلا يجد سلاحاً يقاوم به ولا ناصراً يلوذ إليه، ويغدو عدوه أكثر شراسةً وعنفاً، عندئذ لا يبقى أمام الشعب إلا سلاح واحد وهو سلاح الشهادة.

كيف يصبح القتل والدم سلاحاً؟ وكيف ينتصر الدم على السيف ويبقى الشهيد حياً يُرزق عند الله ويستبشر بمن لم يلحق به؟ وكيف يزداد المجتمع المؤمن العارف بقيمة الشهادة تحدياً كلما ازداد اعداؤه شراسةً وعنفاً؟.

حينما يتعلم الشعب درس (الشهادة) من الشهيد، ذلك لأنه حينما يخترُ الشهيد صريعاً فإنه يعطي لشعبه درساً بليغاً في المقاومة،

١ - الكافي، ج ٢، ص ٣٤٨، باب العقوق، ح ٤.

وكأنه يقول لمن بعده: تعلّموا مني نصرة الحق على الباطل.

فالشعب يتتلمذ على يد الشهيد ويستقي منه دروساً عظيمة،
فيتحول أبنائه إلى كتلة من الشجاعة، ويسري درس الشهادة مع
دمائهم في أوداجهم وعروقهم، فيزدادون همّة وصلابة وتحدياً.

فالشهيد هو القدوة الدامية المتبلورة أمام أنظارهم، يتأسون
به لخوض غمار الموت الأحمر في سبيل الله دون خوف أو تردد،
فإذا كانت الأجساد مصيرها البلى والفناء، وإن كان لا بد لنا من
الموت، فليكن ذلك في سبيل الله وفي مقاومة الطغاة ومواجهة
والمستكبرين.

وكما أنشد الإمام الحسين عليه السلام حين بلغه خبر مقتل مسلم بن
عقيل في الكوفة:

«فَإِنْ تَكُنِ الدُّنْيَا تُعَدُّ نَفِيسَةً

فَإِنْ ثَوَابَ اللَّهِ أَعْلَى وَأَنْبَلُ

وَإِنْ تَكُنِ الْأَبْدَانُ لِلْمَوْتِ أُنْشِتْ

فَقَتْلُ امْرِئٍ بِالسَّيْفِ فِي اللَّهِ أَفْضَلُ»^(١)

فنحن لا نختلف عن الشهيد في شيء، لا نختلف عنه في

١ - بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٧٤.

طموحنا وانطلاقنا واهدافنا وعقيدتنا وايماننا، لكن بقي أن نوجد في أنفسنا ما أوجده الشهيد من العزم والارادة، ونُقدم كما أقدم هو بصدر رحب نحو العمل الجاد في سبيل الله وبهدف التغيير الرسالي للأوضاع.

الشهيد ابن الأمة

عندما يؤدي الشهيد ما حُمِّل من الامانة وينثر دمه على الارض التي خُلق منها، وترتفع روحه الطاهرة الى العلياء، حينها تُصبح الامة - التي تضم امثال هؤلاء الشهداء - فعالة في الاحداث وقادرة على تحديها، بعد أن يسقط عنها حجاب الخوف وتتكسر أغلاله وقيوده، وتتحرر فيها الطاقات والابداعات، حينها يخرج الشهيد من اطاره العائلي المحدود ليصبح ابناً باراً للامة الاسلامية جمعاء.

الوحدة سلاح الصراع

حينما يدخل الشهيد في هذا الاطار الاممي الواسع يلتحق بركب الشهداء السابقين، اولئك الذين استشهدوا وتركوا وصاياهم التي تمحورت دوماً حول مفهوم واحد، ألا وهو (الوحدة).

فهم جميعاً دعوا الامة للوحدة والتلاحم، فبهما وحدهما ترتفع الامة الى مستوى بذل الدم في سبيل الله، وعندها تزول الحواجز التي تفصل بين ابناء الامة الواحدة عن بعضها البعض. وهكذا تسقط الفتويات والتحزبات وما شاكلها من الامور الصغيرة التي تنأى بالانسان عن أخيه الانسان، وتُسقط الحجب والسدود ليصبح أبناء الامة يداً واحدة على أعدائهم. إنَّ الاعداء اليوم يحاربون المؤمنين لتحطيم سلاحهم المعنوي، وهو الايمان بالله والتوكل عليه والاستعداد للاستشهاد في سبيل الله.

فاذا اضاف المؤمنون السلاح المادي الذي منحه الله اياهم - وهو الحديد الذي جعل فيه بأساً شديداً ومنافع - لو اضافوا هذا السلاح الى جانب ما يحملونه من السلاح المعنوي، لما استطاع هؤلاء الاعداء مقارعتهم والاعتداء عليهم.

الشهادة ارثُ خالد

إنَّ أعداء الامة الاسلامية اليوم يعملون جاهدين لمحاربة الاسلام وبشتى الطرق.

فهاهم يشترّون حتّى الضمائر من أجل إدانة إسلام الرّفص،
اسلام محمد وعلي والحسين وكل مسلم حقيقي في التاريخ.

وهنا يلح علينا سؤال مهم:

لماذا يحارب الاعداء هذا الدين بالذات ويحاولون تجريد
المسلمين من إيمانهم والتزامهم به، ذلك الايمان الذي يمثل سلاح
المسلمين الصارم؟

إنهم يحاربوننا لأنهم على علم بأنّ المسلمين يمتلكون سلاحاً
ماضياً قوياً وهو سلاح الشهادة.

والشهيد عندما يسقط يورث هذا السلاح لمن يأتي بعده،
انه يورثه سلاح الدم والسيّف، فيسير عشاق الشهادة مقتفين اثر
خطاه.

إنّ جميع الفئات غير الإسلامية في العالم اجمع وضعت سلاح
المواجهة والتّحدي جانباً، ولم تقف بوجه الطواغيت ولم تصمد
أمامهم.

ولكن التّحرك الاسلامي ظل محتفظاً بسلاحه، وصامداً
امام اعنى قوى البغي والشر.

ذلك لأنّ من يلتزم الاسلام يخشى الله، ومن يخش الله لا

يخشى الاستشهاد في سبيله، والحركة الاسلامية تتحصن بالشهادة لأن الشهادة قلعة منيعة تكسب المجتمع الاسلامي قوة لا توازيها اية قوة في العالم.

وهكذا هم جميع المسلمين في أنحاء الارض، صامدون ثابتون امام الطغاة بما يمتلكونه، من ايمان وعزم راسخين وتوكل على الله وارادة لا تلين.

والفكر الاسلامي الذي جاء في القرآن، هو فكر الجهاد والرفض، فكر التوحيد والصمود ضد الطغيان والطغاة، هذا الفكر سيتشتر أكثر فأكثر لأنه هو الفكر المقاوم اليوم.

٤- كيف تنشأ الديكتاتوريات؟

إنَّ المأساة التي تعيشها شعوبنا الآن نشأت بسبب عاملين:

العامل الاول: وجود الاستعمار وقوى الضلالة والفساد في الارض، وقوى النفاق في بلادنا.

العامل الثاني: حالتنا المتخلفة التي تتأثر بالضغوط ولا تستطيع مقاومتها. وهذه الحالة ناشئة من عدم شهودنا ساحة العمل الفعلية، وعدم حضورنا في واقعنا السياسي.

وبالطبع فان العامل الثاني هو الاقوى والخطر، لأنَّ كل مأسينا تعود بالتالي الى حالة الديكتاتورية الحاكمة علينا، والتي تزرع فينا الفساد والظلم. فلقد شملت الديكتاتورية كل أبعاد حياتنا السياسية والاجتماعية والثقافية والخلقية وغيرها، وتعمقت وتغلَّظت حتى نخاع وجودنا وكياننا، وهي بالتالي المسؤولة عما نعيشه من ظلم وقهر وفقر وتخلف.

منشأ الديكتاتورية

إنَّ الديكتاتورية تنشأ وتنمو وتستمر لأسبابٍ عديدة.

فالإنسان الذي تتحكم به الديكتاتورية وتتلاعب بمصيره، هذا الإنسان ليس مستعداً لأن يدخل الحياة ويقرر مصيره بنفسه، ذلك لأن الإنسان الذي يقرر مصيره بنفسه، لا تستطيع أية دولة أو أية قوة في العالم أن تستبد به وتستعبده، وتفرض ديكتاتوريته عليه.

ولكن الإنسان الذي لا يقرر مصيره بنفسه ويترك الآخرين يعبثون بحياته ومستقبله، هذا الإنسان هو الذي يترك القوى الطاغوتية لتفرض عليه ديكتاتوريته وظلمها.

ونحن المسلمين مسؤولون عما يجري علينا من ويلات.
فالقرآن يقول:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(١).

فالذي نستخلصه من الآية الكريمة هو ضرورة الإصلاح والتغيير على صعيدي الذات والمجتمع. فحينما تكتمل انفسنا بالصالح يصلح الله - سبحانه وتعالى - آئذ المجتمع بأكمله.

١ - سورة الرعد، الآية ١١.

أي إن هذا الاصلاح والصالح لا يتم إلا بعد مرحلتين من التغيير:

اولاً: التغيير النفسي

فعندما تتغير النفس ذاتياً وتصلح، تتغير معها حالة المجتمع، وتتغير تبعاً لذلك جميع الشؤون التي تتعلق بها وخاصة الشؤون السياسية، وقد جاء في حديث شريف:

﴿كَمَا تَكُونُوا يُوَلَّى عَلَيْكُمْ﴾^(١).

فحينما يترك رجل الدين السياسة ويتفرغ للعلوم الدينية فقط، وحينما يتركها التاجر ويتفرغ لتجارته، ويتركها الفلاح، والمتقف، والخطيب، ويقولون علينا أن نترك السياسة لأهلها، فإن أهل السياسة سيأتون عند ذاك ويستبدون بالناس، ويتحكمون في مصائرهم، وسيقولون باننا رسمنا مستقبلكم وقررنا مصيركم لأنكم تهاونتم عن ذلك.

يحكى أن (جنكيز خان) الذي يُعدّ من كبار المفسدين في التاريخ، حيث احرق مدناً بكاملها وعاث ما شاء من الفساد والدمار والخراب، وقتل في بغداد وحدها مليون انسان حتى

١ - كنز العمال، ج ٦، ص ٨٩.

تلوّنت مياه دجلة ثلاثة ايام بدماء الابرياء، هذا المخلوق المتعطش للدماء دخل مدينة (همدان) وطلب من اهلها أن يبعثوا اليه بمندوب، فجاءه أحدهم.

فسأله جنكيز خان: من الذي حكمني عليكم، الله أم أنا؟
فان قلت: الله، فالله خلقكم وأعطى اموركم بيدي فأفعل فيكم ما أشاء، واذا قلت: أنا الذي سلطت نفسي عليكم واستعبدتكم، فانا قويُّ افعل فيكم ما يحلُّولي وليس لكم علي أيّ اعتراض.

فاجابه الرجل: ليس الله الذي سلطك علينا ولست انت الذي سلطت نفسك علينا، فالله عادل لا يحكّم طاغوتاً على عباده، وأما أنت فلست إلاّ بشراً كسائر البشر.

فسأله: اذاً من الذي حكمني عليكم؟

أجابه الهمداني: نحن الذين حكّمناك على أنفسنا، إذ تركناك وشأنك فأخذت تعيث فينا الجور والظلم والاضطهاد.

وسواء كانت الحكاية حقيقية أم لا، فإنّ ما أشارت اليه من فكرة المسؤولية فكرة صادقة.

ثانياً: التغيير الاجتماعي

وهذا يتمثل في الحالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية

والثقافية وغيرها مما يتغير اتوماتيكياً بعد ان تتغير النفوس:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(١).

فالقرآن لا يقول حتى يغيروا ما بقومهم، لأنَّ التغيير الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والثقافي لا يمكن أن يحصل إلا بعد تغيير الافراد وإصلاحهم.

دور الشعوب في القضاء على الديكتاتورية

فللقضاء على الديكتاتورية يجب أن تتبع الشعوب أساليب ناجعة تلخص في:

اولاً: ضرورة بناء مجتمع حر

قبل كل شيء يجب تربية المجتمع على الكرامة والحرية، ذلك لأنَّ الديكتاتورية هي حالة إجتماعية تنشأ وتنمو في المجتمع ثم تظهر في السياسة.

فعلينا أن نربي الفرد ثم الجماعة حتى نقضي على مظهر الديكتاتورية في المجتمع، وهذه التربية تستمد منهجها من الحديث الشريف:

١ - سورة الرعد، الآية ١١.

«كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»^(١).

فالفرد الذي يتربى على هذا المنهج السليم ينشأ قوياً صامداً كالاشجار الضخمة التي لا تنحني في مهب الرياح والاعصار.
فالله سبحانه وتعالى لا يسمح لأيّ طاغوت أو لأيّ قوة ارضية أن تسلب حرية الانسان، إلا أن يشاء هذا الانسان بنفسه أن تُسلب حريته، وذلك لن يكون إلا بتركه للمسؤولية.

ثانياً: ضرورة بناء دولة حرة

وهذا لا يتم إلا بعد أن يكون كل فرد من أبناء المجتمع حاضراً وشاهداً ومتواجداً في ساحة العمل والمسؤولية فيقرر بذلك مصيره ومصير امته.

القوة في الشعب لا في الحكومات

بعد الحرب العالمية الاولى جرت محاولة انقلاب عسكري في المانيا، وتحركت على اثر ذلك قوات ضخمة وسيطرت على المدن واعتقلت رؤساء السلطة، ولكن العسكر واجه خيبة الامل عندما لم يتعاون الشعب معه، فالوزراء والمواطنون والعمال والفلاحون

١ - جامع الأخبار [للشعيري]، ص ١١٩.

أضربوا جميعهم عن العمل وقالوا: اننا سنبقى جالسين في البيوت حتى يعود العسكريون الى ثكناتهم.

وبعد ثلاثة ايام واذا بالناس الذين رفضوا الذهاب الى اعمالهم يصطفون في شوارع برلين ليشاهدوا العسكريين وهم يعودون الى ثكناتهم، مهزومي الانفس، مغضوب عليهم.

هذه هي الارادة الشعبية وها هو رد الفعل من قبل الشعب الالماني.

ولكن - في المقابل - حينما جرت محاولة انقلابية في العراق وجاء صدام المقبور مع ثلة من العسكريين الفاسدين الى السلطة، وسلبوا الناس اموالهم وشرفهم وكرامتهم وحريتهم وحرماهم، وجدنا أنَّ الشعب قد سكت ولم يحرك ساكناً، بل ولم يكن لديه اي رد فعل لهذه الكارثة.

فلماذا سكتوا؟ لماذا لم يغلق التجار محلاتهم، ويهجر الفلاحون حقولهم؟ والأهم من كل ذلك: لماذا سكت علماء الدين وجلسوا في البيوت ولم يجعلوا من الجوامع والمساجد منطلقاً للرفض والتحدي؟!.

فذلك السكوت كانت نتيجتهُ الظلم والإستبداد والقهر لسنوات طوال.

إنَّ الحرية والديمقراطية معدومتان في كل بلد يحكمه
الطاغوت، والناس لا يعيشون سوى صورة مظلمة من صور
الاستبداد والديكتاتورية والعبودية!

إنَّ الديمقراطية التي يزعم الطواغيت بأنَّهم يحكمون
الشعوب بها إنما هي ديمقراطية مزيفة. فالديمقراطية التي يدعيها
إعلام هذه الحكومات ما هي إلا صورة مصغرة ونسخة مزورة
للمدقراطية التي ادعاها وطبَّل لها صدام المقبور وزمرته البائدة
في العراق.

وهكذا نحن اليوم نعاني من المفاهيم المغلوطة التي اشبع بها
الطغاة أدمغتنا وعقولنا طوال عدة عقود من الزمن.

٥- ركائز الانظمة الطاغوتية

التخلف سلاح الاستعمار لاستعبادنا

إنَّ للانظمة الجاهلية الحاكمة والمتسلّطة على كثير من البلاد الاسلامية ركائز اجتماعية وثقافية متجذّرة، ومن دون معرفتها وتشخيصها يغدو من الصعب اقتلاع تلك الركائز التي تقوم على اساسها هذه الانظمة.

وبنظرة تاريخية الى حياة الشعوب المستضعفة والمقهورة نستطيع أن نكتشف هذه الجذور.

فمنذ مائة عام والامة الاسلامية تواجه هجمات شرسة ومخططة من قبل الاستعمار. حيث لما ضعفت الامة - وذلك بسبب تخلفها وتمزّقها وابتعادها عن روح رسالتها - خطط ذئاب الارض من الاستعماريين الشرقيين والغربيين لابتلاعها، ولأنَّ اللقمة كانت اكبر من افواههم فقد قرروا اقتسامها بينهم عبر

المؤتمرات مرة، كمؤتمر (يالطا)، وعبر الاتفاقيات مرة أخرى^(١)، كالاتفاقيات المتعددة الاطراف - ثنائية، ثلاثية أو خماسية - والتي تتم ضمن إطارات معينة، فمرة في إطار مجلس الامن الدولي، وأخرى في إطار عصبة الامم. ومهما تختلف الاسماء فان الجوهر واحد، حيث يتفقون بالتالي وفي كل مرة على كيفية تمزيق واقتسام (الامة الاسلامية).

امثلة من واقع الاستعمار

ونضرب في هذا المجال مثالين:

الاول: ما جرى في (آسام) عام ١٩٨٣ م، حيث المذابح التي جرت ضد المسلمين الابرياء، الذين كانوا ضحية مؤامرة استعمارية شرقية غربية كانت قد وقعت عام ١٩٧١ م وذلك بفصل باكستان الشرقية وإنشاء دولة جديدة باسم بنغلادش.

فعبر المؤامرة الامبريالية الشرقية دفع الاتحاد السوفيتي - يومذاك - بعملائه في الهند بأن يشنوا حرباً على باكستان ويقتطعوا

١ - تلك الاتفاقيات التي يسمونها باتفاقات الرجل السيد (جتتل مان)، وهي تستند جميعها الى استراتيجية واحدة وهي تقسيم مناطق النفوذ، فترك لي الخليج اترك لك لبنان، واترك لي الشرق الاوسط اترك لك جنوب شرق آسيا، واترك لي افغانستان اترك يدك حرة في بولندا... الخ.

قسماً منها، وذلك باستغلال الاوضاع الشاذة الحاكمة على تلك البلاد، وسمّوا الجزء المقتطع بـ(بنغلادش).

هذا التقسيم سبب الفقر والفاقة والعوز لهذا البلد الجديد، مما دفع بمجموعة كبيرة من سكانه الى الهجرة حيث الظروف المعيشية الممكنة في (آسام) في الهند، وهنا إنتهت المؤامرة الشرقية. وتبدأ المؤامرة الإستكبارية الغربية ضد المسلمين المهاجرين في آسام، حيث تمت المجازر الرهيبة ضدهم عام ١٩٨٣ م.

هذه هي طريقة التعاون الـ(جنتل مان) بين القوتين العظميين في ذلك الوقت. فأمريكا ودول الغرب عموماً لا يهتمها تقسيم الباكستان في المؤامرة الشرقية، والإتحاد السوفيتي - في ذلك الوقت - لا يهتمها امر المجازر في المؤامرة الغربية.

ونتساءل تُرى اين حقوق الانسان، واين المنظمات الدولية، وأين منظمة العفو الدولية؟

الثاني: شكلوا هيئة دولية سميت بمجلس الامن الدولي، واعطوا حق الرفض (الفيتو) لخمس دول كبرى في العالم فقط، ولكن لماذا؟

إنهم يزعمون إنَّ حق الرفض هذا إنما أُعطي لهذه الدول كي

تتمكن من حفظ الأمن في العالم!

لكن الوقائع تدل على عكس ذلك، حيث وجدنا
- كمثال - (صداماً) الطاغية يشن حرباً شرسة شاملة ضد جارة
له (إيران).

ولم يحرك هذا المجلس ساكناً تجاه موقف صدام الذي عاث
في الارض فساداً، فقتل الابرياء، وأحرق المدن، وأباد الحرث
والنسل في الجانبين.

فصدام لم يسمع كلمة (لا) من هؤلاء الذين يدعون
المحافظة على الامن العالمي، وهو يخالف كل الأعراف والقوانين
الدولية، في حين تستخدم امريكا حق (الفيتو) للمحافظة على
عدوانية اسرائيل والتغطية عليها، بينما تستخدم القوة العظمى
الثانية (الإتحاد السوفياتي في ذلك اليوم) حقها في النقض كيلا
يدينها مجلس الامن بسبب تدخلها في بعض الدول الشرقية أو في
غزوها لأفغانستان.

هذه هي مجالات استخدام حق النقض، أمّا أن تستخدمه
هذه الدول لصالح المظلومين المعتدى عليهم والمسلوب حقهم
فهذا ما لم نشاهده على الإطلاق.

الغزو الفكري

منذ أكثر من قرن ونحن نعيش مثل هذه الحالة التي لم تتبدل رغم تبدل الحكومات والوجوه.

إنَّ هذا الوضع المزري والواقع المتخلف الجامد يعود الى الهجوم الاستعماري الشرس الذي تقوده القوى الاستكبارية الطامعة في خيرات بلادنا.

هذا الهجوم مستمر وبوضوح، وقد وضع لنفسه ركائز وقواعد في بلادنا وعلى ارضنا، تلك القواعد التي لا تشبه قواعد سام الصاروخية، ولا هي قواعد عسكرية، ولا هي احزاب وشبكات تجسسية، إنما هي قواعد ثقافية عقائدية، وركائز خلقية وحضارية.

ركائز الغزو الفكري

١ - الروح الانهزامية وفلسفتها

في عملية الصراع بيننا كأمة مظلومة وبين كل الطامعين الذين أخذوا ينهشون جسدنا، إنقسم الناس في بلادنا الى قسمين: قسم تحدى الصراع، وازداد به صلابه، واندفع نحو اهدافه

وروح رسالته، وذلك بالعودة الى أصالة الرسالة معتمداً على قوتها. هؤلاء الذين تحدوا الصراع، اعتمدوا في موقفهم على منطق يقول: (بما أننا تخلينا عن ديننا وروحنا الحضارية فلا بد أن تحل بنا هذه المشاكل والويلات).

اما القسم الثاني فهو الذي افقده الصراع ثقته بنفسه، فانهزم، ليس فقط في ساحات الصراع الساخنة، بل وفي نفسه أيضاً. والمنطق الذي يستند عليه هؤلاء هو أنهم لا يستطيعون عمل شيء أو إحداث أي تغيير في الوضع المتردي القائم^(١).

إن هؤلاء الذين انهزموا ميدانياً ونفسياً، صنعوا لأنفسهم مبررات فكرية لتغطية الهزيمة، فمرة قال البعض منهم: إنَّ الشرق والغرب لن يجتمعا ولن يلتقيا، ومرة يقول البعض الآخر منهم - كمجموعة من الكتّاب العرب - : نحن لسنا جزءاً من العالم الاسلامي ولا من العالم الغربي، بل نحن جزء من سكان البحر الابيض المتوسط. وبذلك تنكروا للتاريخ والحضارة والأصالة

١ - ان الحالة التي يعيشها هؤلاء ليست حالة عقائدية، بل هي حالة يطلق عليها بعض الباحثين: حالة اتباع المقهور للقاهر والمغلوب للغالب والمهزوم للممتصر، وهي سنة اجتماعية يَبْنِها ابن خلدون في مقدمته، وكذلك علماء الاجتماع يؤكدون على هذه السنة الاجتماعية، وفي الاحاديث والنصوص اشارات اليها أيضاً، فالمغلوب يحاول أن يقلد الغالب لأنه منهزم نفسياً أمامه وهذه هي روح الهزيمة.

وأرادوا أن يربطوا انفسهم بها وراء الحدود.

وهكذا فعل بهلوي الاول حينما حكم ايران حيث قال: نحن من المجتمع الآري. ولهذا السبب فقد اتحد مع هتلر كي يكونا قوة واحدة ضد الساميين والعبريين، وبذلك تنكر للقومية والوطنية، مثله مثل أتاتورك - في تركيا - الذي قال: نحن لسنا من مجتمع الاتراك الطوباويين!

إنَّ مثل هذه الحالات هي حالات انهزامية بررها أصحابها بفلسفة الهزيمة مقابل فلسفة التحدي.

إنَّ معظم الانظمة الحاكمة في بلادنا تقوم على هذه الركيزة، ركيزة الشعور بالضعف امام الشرق والغرب، لذا نراهم يسبِّحون بحمد الشرق تارة والغرب تارة اخرى، واذا ما سُئلوا عن الاقتصاد الاسلامي - مثلاً - يجيبون بقولهم: إنَّ الاسلام لا يمتلك نظاماً اقتصادياً!

إنَّ الشريحة الحاكمة في بلادنا هم من هذه الطبقة المنهزمة نفسياً أمام هجوم الشرق والغرب.

وكمثال على انهزامية هذه الطبقة المنحرفة هو ما بيَّنه تصريح احد وزراء خارجية بلاد المنطقة بعد اجتماعه بوكيل وزارة الخارجية البريطانية - للتباحث حول بعض مشاكل المنطقة - حيث قال:

(لا بد أن تقوم الدول الكبرى بعمل حقيقي لحل هذه المشكلة!).
ومثل هذه العبارة تتكرر كثيراً على ألسنة حكام المنطقة.

ان الذي يتفوّه بمثل هذا الكلام ليس له أدنى ثقة بنفسه،
والذي لا يثق بنفسه تستعبده القوى المستكبرة، وهو يعتبر هذا
الاستعباد تحالفاً معها، وضماناً لاستمراره واستمرار نظامه.

إنّ مثل هذه الشريحة لا تزال حاکمة في بلادنا، وتثق حتى
الآن بالدول الأجنبية وبدورها في حل مشاكل المنطقة، بينما تلك
القوى لا تفكر إلا في مصالحها.

كل هذا بفضل النفسية الانهزامية التي أصابت الطبقات
الحاکمة في بلادنا ومساعدتها، الذين تعبوا من مقاومة الاستعمار
فتحالفوا معهم، مما جعل منهم جميعاً ركائز للاستعمار قائمة في
بلادنا حتى اليوم.

٢- الجاهلية المادية وأنظمتها

إنّ الفئات الحاکمة في الكثير من بلادنا تنطلق من منطلق
معين، وهو فصل الدين عن السياسة، الذي يقضي بأنّ الحكم ليس
لله وإنما لغيره.

وهي التي ترى أنّ أنظمة حياتها وبناء جامعاتها وإعلامها

وسياستها واقتصادها، قائم كل ذلك على المادية العلمانية - حسب تعبيرها - والاسلام يسميها بـ(الجاهلية المادية).

فقسم منها يعتقد بالمادية التاريخية أو فلسفة التاريخ المادي، وقسم يعتقد بالاقتصاد الحر، وقسم بالاقتصاد الاشتراكي، وغير ذلك من الاتجاهات المختلفة في شتى المجالات.

إنَّ علم الغرب علم وثني بعيد عن علم الاسلام، وان الجاهلية المادية فيه تحولت الى قوانين ونظم أخذت بها الانظمة الجاهلية في بلداننا، ما عدا بعض الشؤون الضيقة، كالأحوال المدنية المتأثرة بروح الاسلام، اما القضاء والتجارة والاقتصاد وامور اخرى كثيرة فهي مرتبطة بتلك النظم والقوانين الغربية الجاهلية.

٣- المصلحية السلطوية وسلوكها

إنَّ الانظمة الحاكمة في بلادنا ليس لها هدف سام، وإنما هدفها الوحيد هو البقاء على كرسي الحكم.

فالكرسي هو الإله المعبود لهؤلاء. ولأنهم كذلك فان سلوكهم يقوم على هذا الاساس أيضاً، فيتلونون كل حين بلونٍ خاص من أجل بقائهم على الكرسي، ويتشددون بمختلف

الكلمات المتناقضة لتحقيق هذا الغرض.

فالمهم أن تتحقق المصالح ويستمر البقاء على الكرسي، وهذه هي عين المصلحة السلطوية وسلوكيات السلاطين.

والشريحة الحاكمة في أغلب الدول الإسلامية لا تخرج من هذا الاطار. والمشكلة تكمن هنا في تطبع هذه الشريحة بهذه الطباع - المصلحية السلطوية وغيرها - والتي أعانت بها المستعمرين وتحالفت معهم.

فعندما جاء الاستعمار البريطاني الى العراق - مثلاً - بذل جهداً عظيماً وضخماً في سبيل تشكيل شريحة من الشعب يعتمد عليها في حكمه للعراق مستقبلاً، فوجد - ولكن بعد جهد كبير - مجموعة ممن يفتخرون بالجاهلية، وممن نبذهم الشعب العراقي لأسباب تاريخية معروفة، وقد اعتمد الإستعمار على هؤلاء في حكم العراق في الحقب الماضية.

وكُتب التبشير والاستعمار التي كتبها الجواسيس والمبشرون شواهد على هذا، بل إنَّ النظر بعمق الى واقع العراق اليوم يعطي دلالة واضحة على مدى تدخل الاستعمار في تقرير مصير العراق.

ما هو واجبنا؟

نحن مطالبون اليوم بكشف تلك الالاعيب الاستعمارية
وتلك الطرق الملتوية التي استخدمها الاستعمار من أجل السيطرة
على بلادنا مباشرة، ومن ثم السيطرة عليه ثقافياً وحضارياً.

علينا ان نكوّن تياراً حضارياً لكي يحكم العراق مستقبلاً
وأن نربي جيلاً يملك الروح والفلسفة والثقافة والاخلاق
والسلوك الرفيع ويتصدى للاستعمار وجذوره حاضراً ومستقبلاً.

الواجب يحتم علينا مقاومة روح الهزيمة في الامة، لأن كثيراً
من الناس يتحدثون عن عدم استطاعتنا وعدم صمودنا في مقاومة
الاستعمار والقوى الكبرى، بل يعتقد البعض اننا لا نستطيع ان
نبني بلادنا على أسس حضارية اسلامية!

إنّ روح الهزيمة هذه هي التي جعلت القيادات الذيلية تحكم
بلادنا، وهي التي جعلتنا ننهزم امام القوى الاستعمارية وبرامجها
التعليمية والثقافية، وإذا ما أردنا ان نصل الى استقلالية واسلامية
حكم بلادنا، فعلى ان نحكم القرآن في كل أمورنا وسلوكياتنا.

أما الانظمة الحاكمة فيجب أن تذهب ليذهب الاستعمار
معها، وبالتالي تذهب المصلحة السلطوية الى الأبد من بلادنا.



٦ - نحو تناطئ الأمان

الرسالات السماوية بشرى للانسان بالخلود

إنَّ من أعظم إنجازات الرسالات الإلهية أنها تحمل للانسان بشرى حياتين كريمتين في الدنيا والآخرة.

فلو ثبت للانسان - وبصورة عقلائية وعبر مجموعة متكاملة من الادلة العقلية والنظرية - أنَّ وراء هذا العالم عالماً واسعاً ممتداً، فعلى هذا الانسان أن يطرح على نفسه السؤال التالي:

كيف ننقذ أنفسنا من ويلات العالم الآخر؟ علماً بأنَّ ربَّ هذا العالم الذي نحيا فيه هو ربُّ ذلك العالم الآخر الذي سننتقل اليه، وأنَّ سنن الله في هذه الدنيا لا بد أن تكون هي أو ما يشبهها حاكمة في تلك الحياة الآخرة.

إنَّ الدنيا فيها خير كثير وفيها من الشر شيء كثير أيضاً، وكذلك هي الآخرة. ونحن إن لم نسع سعياً حثيثاً مستمراً فاننا

لن نتمكن من إنقاذ أنفسنا من شرور الدنيا وشرور الآخرة معاً.
هذه القاعدة التي ننطلق ونتحرك منها ما هي إلا حقيقة عقلية ووجدانية واضحة، وعلى كل من يخاف مقام ربه ولم تحتجب بعد بصيرته بالغرور أن يعي هذه الحقيقة، ومن يؤمن بهذه الحقيقة سيبحث عما يبشّرُه بحياةٍ فاضلة وراء هذه الحياة القصيرة المحدودة فوق الارض.

إِنَّ كَلَّا مَنَّا يُوْمِنُ اِيْمَانًا عَمِيْقًا خَالِصًا بِأَنَّ كُلَّ مَا يَدْبُ عَلٰى
الارض سَيَعُوْدُ يَوْمًا اِلٰى بَاطِنِهَا:

﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيْدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرٰى﴾^(١).

وقد يتصور الانسان بانه حينما يُعاد الى باطن الارض فانه سينتهي، ولكن العكس هو الصحيح.

فالانسان حينها - عند الموت وبعده - لا ينتهي. فلو افترضنا أنَّ الموت هو النهاية، فإنَّ مَنْ عمل صالحاً وَمَنْ عمل سيئاً سيكونان سواء، أما لو افترضنا أنَّ الموت لا يمثل نهاية الانسان بل هو طريقه الى الخلود، إما في النار وإما في الجنة، فمن سيكون الرابع حينذاك؟.

١ - سورة طه، الآية ٥٥.

إنَّ مجرّد الاحتمال والفرض بأنَّ وراء هذا العالم عالم آخر، ووراء هذه الحياة حياة أخرى، يكفيننا دافعاً للبحث عما يخلّصنا من ويلات ذلك العالم.

إنَّ أيّ مذهب وأيّ مبدأ وأيّ رسالة لا يمكنه انقازنا مما سيحدث لنا في الآخرة سوى الرسالات السماوية التي أتى بها الانبياء ﷺ من قبل الله عزّ وجلّ، وكان من أكبر وأضخم منجزات هذه الرسالات هو بذلها الأمان والاطمئنان والسكينة للبشرية.

فدواء الخوف والقلق والفرع والتوتر الدائم الذي يعيشه الإنسان منذ اللحظة الأولى لإدراكه الحياة وحتى اللحظة الأخيرة منها، دواء ذلك لدى الانبياء الذين بشروا الناس قبل كل شيء بهذه الحقيقة الواضحة، والتي أكد عليها ربنا جلّ شأنه بأنه سيطوي السماء في يومٍ ما، وستُنقل البشرية من هذه الحياة، ويؤخذُ بيدها نحو الحياة الخالدة.

هذه السماء الواسعة التي لا يسع العقل البشري استيعاب حدودها وسعتها، سيطويها خالقها جلّ وعلا كما يطوي الإنسان ورقة ما:

﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ

خَلَقِ نُعِيدُهُ ﴿١﴾.

في هذه الآية اشارة أو تلميح الى طريقة عودة الانسان في الحياة الآخرة. حيث تتحول الارض في الآخرة الى رَحِمٍ، والانسان نطفة في رحم هذه الارض، ينميها المطر فاذا به ينبت نباتاً كما يولد من رَحِمِ أمه، ولكنه حينما ينبت إنباتاً فانه سينبت مكتمل الشخصية والابعاد فتنشق الارض عنه، واذا بالارض تقذف عند ذاك ما بداخلها في لحظات، واذا بما لا يُحصى من البشر من كل جنس ولون وصفة يغطون أديم الارض الآخروية.

فهكذا بدأ الله الخلق ثم يعيده، فهو وعدٌ أَلَزَمَ به ربُّ العزة نفسه، وهو لا يُخْلَفُ وعده عباده، لأنَّ الذي يُخْلَفُ إنما يُخْلَفُ عن ضعفٍ أو جهلٍ أو ظلم، وحاشا الله وتقدَّس وتنزَّه عن كل ذلك. إنَّ هذا الوعد الذي يعد الله به عباده بالخير والحساب، ما هو إلا بشارة أولى لهم:

﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فاعِلِينَ﴾ ﴿٢﴾.

والبشارة الثانية هي أنَّ الرسالات المقدسة تؤكد للبشر أنَّ خلافة ووراثة الارض إنما تكون لمن عمل بها صالحاً:

١- سورة الأنبياء، الآية ١٠٤.

٢- سورة الأنبياء، الآية ١٠٤.

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^(١).

للمؤمن رجعةٌ صغرى

لو تحقق ما وعدك الله به وورثت الارض في حياتك، فسيكون نصيبك الظفر بحياتين كريمتين، الاولى قريبة وعاجلة وهي الدنيا، والثانية خالدة وباقية وهي الآخرة التي يهدف اليها جميع المؤمنين.

أمّا اذا لم تتوفر لك الفرصة بأن ترث الارض، وانت المؤمن الرسالي الذي وقفت حياتك كلها من أجل الله، فإن الله تعالى حينما يورث الارض لعباده الصالحين، سيخيّرُك بعد الموت - كما تشير الى ذلك أحاديث كثيرة^(٢) - بأن يعيدك الى الدنيا، فان اخترت ذلك فانك ستعود الى الحياة الدنيا في الرجعة الصغرى، وستمتع بحياة فاضلة كريمة، ثم تموت مرة أخرى وتنتقل الى الآخرة، حيث تبشّر هناك بالحسنى.

إنّ هذه حقيقة لا ريب فيها ولا يشك فيها إلا من اتبع هواه

١ - سورة الأنبياء، الآية ١٠٥.

٢ - أنظر: بحار الأنوار، ج ٥٣، تاريخ الإمام الثاني عشر، باب الرجعة، ص ٣٩-١٤٤.

وضل وشكك في كل حقيقة حتى في نفسه ووجوده، وحتى في الشمس الساطعة في رابعة النهار.

من هم المشككون في الحقائق

هؤلاء هم الموسومون بذوي القلوب الغافلة وانصار الهوى واتباعه.

فكل انسان يشكك في الحقائق تسول له نفسه وتخدعه حتى الموت، والله يمدّه في هذا الطريق ويتركه يعمه ويتردد في طغيانه فيسلب منه وقتئذ نعمة العقل.

ذلك لأن الشخص الذي يجترح السيئات ويركب الفواحش والموبقات يغوص بالتالي في غياهب الجهل والغفلة ويبتعد عن العقل والوعي والبصيرة.

الامل شعلة نيرة

إنّ الايمان بالرجعة يشكل شعلة الامل في نفس الفرد المؤمن.
إنّ توهج شعلة الامل في نفس المؤمن أمرٌ يمنحه مناعةً ضد الطغاة.

فالمؤمن يُهَجَّرُ وَيُنْفَى وَيُشَرَّدُ وَيُعَذَّبُ وَيُسَجَّنُ ويواجه الكثير من الصعاب في الحياة، وهي أمورٌ تكسبه الرفعة في درجاته عند الله، فبقدر ما يتألم يرتفع عند الله درجات، ويكتسب اجزل الثواب، ويهبه الله في المقابل الجنة والخور والقصور. وعندما يحمد المؤمن ربه على ما يعانیه من العذاب والالم يضاعف له الله الاجر والثواب.

فالمؤمن لا يخشى أي شيء في ذات الله، ولا يرى أنَّ هناك ما يهدِّده، فإن كان مآله الى القتل - الذي يهدِّده الطاغوت به - فهو إذًا له عادة وكرامته من الله الشهادة، بل هو يبحث عنه ويلج في طلبه ويدعو الله ليناله لما فيه من القربى الى الرب:

«وَقَتْلًا فِي سَبِيلِكَ مَعَ وَلِيِّكَ فَوْقَ لَنَا»^(١).

وإن كان ما يهدِّده الخوف فالمؤمن لا يعيش إلا ليشعر بلذة الخوف من أجل الله وفي سبيله.

يقول الإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله ﷺ:

«مَا كَانَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَنْ يَظَلَ جَائِعًا خَائِفًا فِي اللَّهِ»^(٢).

١- بحار الأنوار، ج ٩٥، ص ١١٧، فقرة من دعاء الافتتاح.

٢- الكافي، ج ٨، ص ١٢٩، ح ٩٩.

هذا الرسول العظيم الذي كان يطوي ليليه بالعبادة حتى
خاطبه الله:

﴿طه * مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾^(١).

وهو وصل الى درجة من المعرفة بالله والتقرب الى الله لم يصل
اليها احد، فعندما كان النبي ﷺ أقرب شيء إلى مقام ربه عندما
كان قاب قوسين أو أدنى، قال له جبرائيل عليه السلام: «تَقَدَّمْ يَا رَسُولَ
اللَّهِ، لَيْسَ لِي أَنْ أَجُوزَ هَذَا الْمَكَانَ، وَلَوْ دَنَوْتُ أَنْمُلَةً لَا خَرَفْتُ»^(٢)،
في حين أن نبينا ﷺ تقدم إلى مقام ربه مسافات لا يستطيع أن
يتصورها الوهم والخيال.

ومع كل ذلك فانه ﷺ يعتبر الليلة التي يبيت فيها خائفاً في
سبيل الله أحب اليه من كل شيء.

إن المؤمن ليعلم بأن ربه يسجل له حتى نبضات قلبه التي
تسارع بسبب الخوف.

الامل يحدو المؤمن نحو نهاية سعيدة

إنَّ المؤمن الحق لا يتسرَّب الخوف الى نفسه، ذلك لأنَّ كتلة

١ - سورة طه، الآيتان ١-٢.

٢ - بحار الأنوار، ج ١٨، ص ٣٨٢.

من الامل والايان والثقة بالله. فهو على يقين تام بأن نهايته سعيدة، وأن الخلافة والوراثة ستكون للصالحين من خلق الله.

والمؤمن يعلم أن كل ما يصيبه من أذى أو تعب أو مخرصة أو نصب في سبيل الله انما هو محفوظ بدقة في علم الله الذي لا يضيع الحقوق:

﴿أَتَى لَا أَضِيعُ عَمَلٍ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾^(١).

هذه الجذوة المتقدة في قلب المؤمن والتي نسميها (الامل) تمدّه بالحصانة ضد الكثير من الأمراض النفسية التي أبتلي بها الكثير من الناس بسبب انعدام الايمان او ضعفه، ومن أبرز هذه الامراض (مرض الهزيمة النفسية) الذي استفحل اليوم في نفوس الكثيرين فباتوا يعيشون حالة من الإنهزام النفسي أمام كل شيء، كقوى الشرق والغرب، ويشعرون بالضععة امام الطغاة الحاكمين والسلطات والدول القوية في العالم.

إعلام الطغاة يرفد الهزيمة

إن أجهزة الاعلام الطاغوتية المضلّة هي الاخرى تمد هذا

١ - سورة آل عمران، الآية ١٩٥.

الاحساس النفسي بمزيد من التخاذل. او بالاحرى إنَّ وجود مثل هذه السلطات المضلّة ما هو الا نتيجة الهزيمة النفسية عند المسلمين.

وهي - اي السلطات - تجسيد حي للانهزام النفسي والتخلف الحضاري وحالة الهبوط الروحي للامة. ولولا هذه الحالات لما وجدت هذه السلطات.

إنَّ حالة ضعف المسلمين وضعف ايمانهم بالله أدّى الى هزيمة نفسيه نكراء لا تُجبر إلا بالعودة الى القرآن والايمان، فالذي يؤمن بالقرآن وآياته لا يمكن أن يُهزم نفسياً، وذلك لسببين:

أولهما: لأنَّ طبيعة الدنيا التي نظمها الله على أساس سنن معينة إنما تتحرك نحو شاطئ الامان لتلقي مرساتها فيه، وهذا الشاطئ هو شاطئ الصالحين:

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^(١).

وثانيهما: لأنَّ المؤمن يعلم بأنَّ ما يراه أمامه ما هو إلا نتيجة سعيه وما قدمه وحققه بعمله وجهده، وأنَّ هذه الدنيا ليست دنيا الأباطيل والتمنيات والاحلام وإنما هي دنيا السعي والجد

١ - سورة الأنبياء، الآية ١٠٥.

والمثابرة:

﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾^(١).

والمؤمن لا يتمنى، لأنه يعلم مسبقاً بأن الشيطان سيلقي في أمنيته. ولذا فهو لا يتخذ الحياة حياة أحلام وخيال، وهو يعلم بأن أكبر الهزائم النفسية التي يتعرض لها الفرد إنما تسببها الاحباطات الحاصلة في تمنياته وأحلامه.

الايمان بالحق سُلَم الاستقلال

إنَّ الانسان الذي يحلم ويبنى بأحلامه تلك حياةً مستقبلية باطلة، فانه عندما يصطدم بالحقيقة يصاب حينها تلقائياً بهزيمة نفسية مريعة.

أما المؤمن فهو يتمتع بالايان بالحق لا بالأمنية:

﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾^(٢).

فالسماوات والارض خلقتا بالحق لا بالتمني، والفرد المؤمن

١ - سورة النجم، الآية ٣٩.

٢ - سورة الأحقاف، الآية ٣.

عندما يبدأ حياته يخطط لمسيرته بالحق أيضاً لأنه سيرى فيها بعد ما عملت يده:

﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى﴾^(١).

ولأجل ذلك نجد المؤمن بعيداً عن الانهزام.

إنَّ المشكلة الحقيقية للامة اليوم هو فقدانها لايمانها بقدرتها على الاستقلال.

فالاستقلال وحب الدفاع عنه والسعي وراء تحقيقه كان ولا يزال أكبر محرك للتاريخ، ولكن مع كل ذلك نجد الكثير من الناس يعيشون عبيداً أذلاء بالرغم من ايمانهم بضرورة الاستقلال وضرورة التخلص من التخلف والذيلية والتبعية للآخرين!

ويعود سبب هذا - وكما اسلفنا - الى عدم ثقة الناس بمقدرتهم على العيش أسياداً أحراراً وفقدانهم الامل في الحرية.

والحديث الشريف يؤكد قائلاً:

«لَا تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ حُرًّا»^(٢).

١ - سورة النجم، الآيات ٣٩-٤١.

٢ - نهج البلاغة [صبحي الصالح]، قسم الكتب والرسائل والوصايا، رقم ٣١، وصيته لابنه الحسن عليه السلام، ص ٤٠١.

المؤمن لا يفقد الامل

الانسان الذي ينساب الايمان كمعين فياض من قلبه الطاهر
لا ينهزم ولا يفقد الامل والثقة، وذلك:

١- لأنَّ ايمانه بالله وايمانه بان العاقبة للمتقين لا يسلمه
للانهزام.

٢- ولأنَّ ايمانه بالحق يحول دون بنائه قصوراً من الاحلام
والامنيات، ولذا فهو لن يتحطم نفسياً حينما يجد أنَّ أحلامه لم
تتحقق.

واليوم نرى في العالم الاسلامي صحوة ورغبة ملحة وجادة
في طلب الاستقلال والحرية والكرامة والتقدم.

وهذه الرغبة موجودة منذ قرن من الزمان، فمنذ قرن - على
الاقل - والمسلمون يسعون ويبدلون دماءهم ويقدمون أعمالاً
عظيمة وتضحيات جسيمة من أجل الاستقلال والتقدم. ولكن
معظمهم لم يبلغوا هذا الهدف المقدس، لأنهم لم يعرفوا طريق
الاستقلال، وهو العودة الى الله، العودة الى كل ما نزل به القرآن،
ذلك لأنَّ الايمان بالله يساوي الايمان بالقرآن كاملاً دون نقص.

إنَّ هذا الايمان لا ينحصر بوجود الله وحسب، وإنما يجب أنْ

يصبح صبغة شاملة تصطبغ بها حياتنا كلها بسائر جوانبها.

إنَّ تكثيف التوجه نحو طلب الاستقلال لنيل الخلاص من الظالمين الذين يعيشون في الارض الفساد ما هو إلاَّ مُحَفِّزٌ من قبل الله لكي يتجه الناس الى خالقهم ويتضرعوا اليه لينعم عليهم بشتى نعمه التي تعتبر (المعرفة) من افضلها:

﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾^(١).

هذا هو هدف من أهداف الابتلاءات والصعوبات التي يمر بها الانسان في حياته. وهذا الهدف ذاته الذي وضع الامة الاسلامية في محك المعاناة لتكون هي الاخرى ساحة لشتى انواع الابتلاءات.

الكثير منا لم يعرف قيمة دينه فاتجه شرقاً وغرباً. والآن قد عرفوا ان الغرب روح جاهلية مزودة بشعلة مدمرة، وان الشرق ليس بافضل من الغرب إن لم يكن اسوأ منه.

إنَّ العودة الى الله ومعرفة قيمة الدين وقيمة التعاليم الاسلامية هو أفضل ما نستطيع أن نستفيد به ونتمسك به في هذه المرحلة الحساسة من تاريخ امتنا، لتسير عجلتها الى الامام بفعل ما ستحصل عليه - بهذه العودة - من الحرية والاستقلال.

١ - سورة الأنعام، الآية ٤٢.

الفهرس التفصلي

العناوين الرئيسية	٧
كلمة الناشر	٩
مقدمة الطبعة الأولى	١٣
الفصل الأول: أهداف الجهاد	١٥
١ - الجهاد قضية المسلم الاولى	١٧
الاسلام دين العدالة	١٨
٢ - الجهاد يتحدى فساد الطغاة	٢١
الإصلاح شعار المرسلين	٢١
دعوة شعيب إلى الإصلاح	٢٢
الإنشقاق العقيدي والسلوكي في المجتمع	٢٣
حقيقة نوايا الطغاة	٢٤
استراتيجية المستكبرين في استغلال الناس	٢٥
المرحلة الاولى: الإباحية والتبعية كبديل	٢٧
المرحلة الثانية: زرع الفساد	٢٨

- المطلوب موقف بحجم المؤامرة ٢٩
- المجرة تطهير من رواسب الطغاة ٣١
- إعتبار ثم استجابة ٣٢
- ٣- الجهاد ارفع ابواب الجنة ٣٥
- أفضل الجهاد أن تكون في قمة المعاناة ٣٦
- الفرق بين الخوف من الله والخوف في الله ٣٧
- الجهاد مشقة ٣٨
- الموت ابتلاء ٤٠
- ٤- الجهاد رحمة للمؤمنين ٤٣
- العجز الانساني يتحدى القدرة المطلقة ٤٣
- القرآن يجسّد الضعف البشري ٤٤
- أمثلة القرآن عودة الى الوعي ٤٥
- اولياء الله واولياء الطاغوت طرفا نقيض ٤٧
- الأطلال الدارسة دروسٌ وعبر ٤٨
- العلاقات الخبيثة لصالح مَنْ؟ ٤٩
- الظفر لمن؟ ٥١
- صفقةٌ رابحة ٥١
- الحصانة النفسية والتعبئة الجسدية ضرورة ٥٣
- كيلا تتكرر المأساة ٥٥
- ٥- الجهاد حصن الاستقلال ٥٧
- الاستقلال وعوامل التحدي ٥٧

٥٨.....	العوامل الطبيعية انحراف وأغالال
٥٩.....	العوامل البشرية ضغطٌ وحصار
٦٠.....	كيف نقاوم هذين العاملين؟
٦١.....	صنوف الصراع
٦٢.....	قصة النبي سليمان مع ملكة اليمن
٦٢.....	دعوتان كريمتان
٦٣.....	الطاعة التامة للقيادة
٦٥.....	موقفٌ حكيم
٦٧.....	النظرة الاسلامية للامم والنظرة الغربية الدخيلة
٧٠.....	الماضي الجريح وصمة في جبين الغرب
٧١.....	التميز بين الاسلام والانظمة الوضعية
٧٣.....	الرفض الاسلامي لسياسات الاستعمار
٧٤.....	الشعوب تقاوم كل الاساليب
٧٥.....	الانظمة الحاكمة في المنطقة خائنة حتى النخاع
٧٥.....	الجهاد سبيل الخلاص
٧٦.....	طرق الجهاد
٧٩.....	الفصل الثاني: استراتيجة الجهاد
٨١.....	١ - المهجرة الى الوطن عبر جسر الجهاد
٨١.....	تاريخ الشعوب دروسٌ وعبر
٨٢.....	الانفصال عن التاريخ ضياع

- ٨٣..... التجارب التاريخية منهجٌ ثمين
- ٨٥..... واعتصموا بحبل الله
- ٢- كيف نسير على درب الشهداء ٨٧
- ٨٧..... الاسلام الاطروحة الاشمل
- ٨٨..... الجهاد مدرسة الموهوبين
- ٩٠..... كل التضحيات من أجل النصر
- ٩٢..... معراج المؤمن ثباته في الصراع
- ٩٤..... اهداف الصراع الرسالي
- ٩٤..... المؤمنون قوافل عطاء
- ٣- كيف نتكامل في رحلة الجهاد ٩٧
- ٩٨..... المطلوب ارادة حازمة وكيفية عالية
- ٩٩..... شروط الانتصار
- ٩٩..... العامل الاول: الموقف السليم من الموت
- ١٠١..... العامل الثاني: الارادة والعمل
- ١٠٣..... العامل الثالث: الاستعداد لخوض الصراع
- ١٠٣..... العامل الرابع: الصبر والاستقامة
- ١٠٤..... العامل الخامس: تكامل الذات في الصراع
- ١٠٦..... العامل السادس: الوحدة وإخلاص الولاية لله
- ٤- كيف نجعل من ساحة الجهاد محراباً للعبادة؟ ١٠٩
- ١٠٩..... العمل الدؤوب دعامة الايمان
- ١١١..... العمل الصالح رهين اهدافه السامية

- العروج الى الله غاية الاعمال الصالحة ١١٢
- الصالحات جُنة المؤمن ١١٣
- المراحل التكاملية للعمل الصالح ١١٥
- أولاً: الاحاطة التامة بأبعاد العمل ١١٥
- ثانياً: الاستقامة في اداء العمل ١١٦
- ثالثاً: الصمود وتحدي الصعاب ١١٩
- الحياة من منظور عبادي ١٢٠
- نحن مسؤولون ١٢٢
- ٥- اهداف القتال في سبيل الله ١٢٥
- نظرة الى تاريخ العراق ١٢٥
- في التاريخ عبرة ١٢٩
- لا بد من جيل رسالي ١٣١
- التواكل مرضٌ خطير ١٣٢
- الفصل الثالث: ماذا بعد الشهادة؟ ١٣٥
- ١ - الجهاد الاكبر ١٣٧
- الجهاد العسكري اختبارٌ عسير ١٣٨
- الجهاد الاكبر اعظم ١٣٩
- الجهاد في طلب العلم ١٤٠
- أقصى الجهد في سبيل الله ١٤٢
- التأهب في السلم جهادٌ أكبر ١٤٣

- الجهاد مطلوب دوماً ١٤٤
- ٢- متى يموت الشهيد ١٤٧
- الوجود بين الهدف واللاهف ١٤٧
- الانسان بين الموت والخلود ١٤٨
- الحسين خلودٌ دائم ١٤٩
- مفاهيم خاطئة ١٥٣
- الوفاء بالعهد ١٥٤
- المؤمنون والتذكير ١٥٦
- ٣- الشهادة حياة خالدة ١٥٩
- الدم رمز المقاومة ١٥٩
- عندما ينتصر الدم على السيف ١٦١
- الشهيد ابنُ الأمة ١٦٣
- الوحدة سلاح الصراع ١٦٣
- الشهادة ارتُّ خالد ١٦٤
- ٤- كيف تنشأ الديكتاتوريات؟ ١٦٧
- منشأ الديكتاتورية ١٦٨
- اولاً: التغيير النفسي ١٦٩
- ثانياً: التغيير الاجتماعي ١٧٠
- دور الشعوب في القضاء على الديكتاتورية ١٧١
- اولاً: ضرورة بناء مجتمع حر ١٧١
- ثانياً: ضرورة بناء دولة حرة ١٧٢

- القوة في الشعب لا في الحكومات ١٧٢
- ٥- ركائز الانظمة الطاغوتية ١٧٥
- التخلف سلاح الاستعمار لاستعبادنا ١٧٥
- امثلة من واقع الاستعمار ١٧٦
- الغزو الفكري ١٧٩
- ركائز الغزو الفكري ١٧٩
- ١- الروح الانهزامية وفلسفتها ١٧٩
- ٢- الجاهلية المادية وأنظمتها ١٨٢
- ٣- المصلحية السلطوية وسلوكها ١٨٣
- ٦- نحو شاطئ الأمان ١٨٧
- الرسالات السماوية بشرى للانسان بالخلود ١٨٧
- للمؤمن رجعةٌ صغرى ١٩١
- من هم المشككون في الحقائق ١٩٢
- الامل شعلة نيرة ١٩٢
- الامل يحدو المؤمن نحو نهاية سعيدة ١٩٤
- إعلام الطغاة يرفد الهزيمة ١٩٥
- الايمان بالحق سُلَّم الاستقلال ١٩٧
- المؤمن لا يفقد الامل ١٩٩
- الفهرس التفصلي ٢٠١

حين يفقد البيت سوره،

وحين تنهار عن الجسم حماته،

وحين يفقد الانسان كرامته،

فان أعلى ما فيه يُمسي تافهاً.^{١٣}

لأن أثاث البيت الذي يتعرض للسرقة في أية لحظة،^٣

أو الجسم الذي يعزوه المرض في أية ساعة،^{١٣}

أو الانسان الذي يستعبده الجبار متى ما شاء، لا يسوى جناح بعوضة.

هكذا الأمة التي تفقد حصن **الجهاد**، فان كل ما فيها يصبح تافهاً،^{١٣}

إنها لا تتقدم لأن شرط التقدم الأمن، ولا أمن إلا بال**جهاد**،^٣

وهي لا تعيش بكرامة، وهل هناك كرامة من دون **الجهاد** الذي يحفظها؟

ولا تعرف الهناء لأن خيراتها نهب الملامعين.